

بُنْدُرُ الْحَيَاةِ



الكاتب:

عبد الرحمن الزعبي

فهرس

٦٥	غسيل أسبوعي (٢٠٢٢)
٦٩	بنور (٢٠٢٣)
٧٣	قصة نظارة (٢٠٢١)
٧٥	سجن (٢٠٢١)
٧٧	هوّيّتي (٢٠٢٢)
٧٩	٣ أمنيات (٢٠٢٢)
٨٣	ماذا ترى؟ (٢٠٢٢)
٨٥	قطرات المطر (٢٠٢٢)
٨٧	رمز الرجلة (٢٠٢٢)
٨٩	أعمال خيرية (٢٠٢٣)
٩١	تخلّي (٢٠٢٢)
٩٣	رسالة تائب (٢٠٢٣)
٩٥	لا فرامل: (٢٠٢٣)
٩٩	شفاء الشّعراء (٢٠١٩)
١١	خلوة (٢٠١٩)
١٥	صيّاد المستقبل (٢٠٢٣)
١٧	مع مرور الزّمن (٢٠٢٣)
١٩	ستيكة بليار (٢٠٢٣)
٢١	حتّماً (٢٠٢٣)
٢٩	على الطّريق (٢٠٢٤)
٣٣	الغربة الفكرية (٢٠٢٤)

١	الإهداء
٢	المقدمة
٣	سكون (٢٠١٧)
٥	عودة (٢٠٢٣)
٩	لعنة (٢٠٢٣)
١٣	يأس (٢٠٢٣)
١٥	سدى (٢٠٢١)
١٧	موروثات (٢٠٢١)
٢١	تقّبل (٢٠٢١)
٢٣	سراب (٢٠١٨)
٢٥	حلم (٢٠١٩)
٢٧	الحرّية (٢٠٢١)
٣١	ضوّج مزيف (٢٠١٨)
٣٣	مساكين (٢٠٢١)
٣٥	معضلة (٢٠١٨)
٣٧	أوراق (٢٠٢٢)
٣٩	اختلاف (٢٠٢١)
٤١	أمل (٢٠٢٢)
٤٥	في الصّراء (٢٠٢١)
٤٧	القرن الحادي والعشرين (٢٠٢٢)
٤٩	منطفأة (٢٠٢٢)
٥٣	مقبرة الآمال (٢٠٢٢)

المَقْرَّمَةُ

الْإِهْرَاءُ

لقد قررت كتابة هذا الكتاب الأول لي لعدة أسبابٍ أهمّها إعادة إشعال حبّ هذا الجيل باللغة العربية وذلك عبر تقديم صفات وأفكار الكتاب بأسلوبٍ بسيطٍ وغنيٍّ يسهل على الجميع فهمه واستقاء معانيه. أمّا السبب الثاني فهو لتدذير نفسيٍ وتذكير الشباب بالقيم التي فقدتها وداست عليها مجتمعاتنا اليوم وذلك عبر قصصٍ فلسفيةٍ وقودها الخيال وأساسها الرمزية، لعلّي بذلك أنشر الخير بين الناس فيرضى عنّي ربّي. وأخيرًا فهي ممارسةٌ للكتابة، أحبّ الهوايات إلى قلبي وأقواها أثراً، فكم أهوى نثر أفكارٍ لأجمعها بحلوة الكلام وأزيّنها بمتانة الحكمـة، والله المستعان.

أهدى هذا الكتاب إلى أمّي مربّتي أولاً، ففضلها علىّ كبير، وما أنا بموفّقٍ حلقها، وأرجو أن يمد الله في عمرها ويبارك لها في حياتها، وأن يذيقها ما يسعد قلبها في دنياه وما يريح نفسها في آخرته والله خير الراحمين.

كما أهدى هذا الكتاب إلى كلّ من يريد نشر الخير وزرعه، وإلى كلّ النّفوس الطيبة المتمسّكة بالخلق الكريم وبالقيم الطيبة، وإلى من يبحث عن الحكمـة في كلّ دربٍ من دروب الدّنيا لينتفع بها وينفع بها غيره والله خير التّافعين.

سکون (٢١٧)

على هداة الفجر المقدّس، زرتْ شرفتي. التحفت ب قطراتِ المطرِ، أستمتعُ إلى ألحان النسائم وأتنشق الطهارة التي تحاوطني من كُلّ زاويةٍ. سکونْ يريح العقلَ والقلبَ، وروحُ الخيرِ تُضفي لمستها السحريةَ على نفسي المنكسرة. أخوضُ دروبَ الذاكرة وأغوصُ في متأهاتٍ ما ولّى، مضى وانقضى، فيعتريني المجهولُ ليدوّنَ بريشتهِ المدببةِ ملامحهَ على صفائحِ وجداني. في تلك اللحظة، عانقتُ السماءَ، فعانقتني، وأصبحتُ أنا غيمةً من غيماتها، وهيَ خاطرةً من خواطري...



عُورَةٌ (٢٠٢٣)

"النَّصْبُ وَرَوْبَ الطَّفْوَلَةِ"

لربّما مرّت أيام الطفولة، لكن ذكرها محفورةً أبداً في روحي وعقلي. تلك الذكريات التي باتت تمثّلني، فقد أصبحت جزءاً لا يتجزأ من كيانني، هي منّي، وأنا منها، من دونها أصبح ميتاً على هيئة الأحياء!

تلك الأيام البريئة التي لن تعود، مهما تعالت أصوات الآملين والحالمين برجوع الطفولة البعيدة الجميلة بحلوتها ومراحتها، فلم يبقَ من تلك الفترة سوى ذكريات آنستنا ولاد زالت، حتى كانت الذكريات أن تكون قطعة خبرٍ نعيش بها ونكمّل بها دروبنا في هذا العالم القاسي! وفي إحدى زوايا طفولتي قبعت أيام لن أنساها، أيام عشتها في بيتي القديم، ذلك البيت الذي بنيت وإخوتي فيه أعمدةً ذكرياتنا، في ذلك البيت ظلّلنا نتأرّجح بين إبتسامة ودمعة، فرحنا وحزنا، وما أجمل الحزن أيام الطفولة! وما أقسى الحزن بعد أن تحركت عقارب الزّمن! في ذلك البيت المخلص ركضنا، في حديقته الجميلة البهية جلسنا، واستمعنا إلى نداء العصافير التي كانت تحلّق في سماء الله الصافية! كم كانت النّسمات جريئةً حينها، لطالما كانت تداعبني فأين هي الآن؟ هل اختفت مع اختفاء براءتي؟ وأين ذهب شعور الفرحة حين ملامسة أشعة الشمس لي؟ أين هي تلك الأزهار التي ملأت حديقتنا عطرًا وددتُ

لقد كانت بداية حياتي الجامعية، وانغماسي الشاد في دراستي، وتعريضي الطبيعي لمختلف تيارات الفكر وأساليب الحياة الجديدة والغريبة عليّ، إبرة تخدير قوية للغاية، أدّت إلى دخولي في غيبوبة حياتية، أو في ذلك الروتين الذي لطالما ظنت أنّني محصنٌ ضده. فكان كل يوم حينها عبارةً عن مسرحية مخادعةٍ توهّمك بإختلاف قصتها، إلا أنها كعجائن «الصفيفة» تخرج متشابهةً من نفس الفرن. وإن لأكثر ما في الأمر حزناً هو وعيي لتلك الفترة اللذواعية أثناء وقوع أحداثها وتكريم ممثليها. عثرت صدفةً على دفتر التعبير الكتابيِّ الخاص بي، وذلك عندما كنتُ في الصف الثامن، وبدأتُ بقراءة صفحاته التي كان من ضمنها نصٌ كتبته حينها عن الطفولة، لإرضاء معلّمتي وضميري الدراسيِّ، لاكتشاف الآن صدقه في هذه المرحلة بالذات، وكأنّني كتبته لنفسي. وأترككم مع النّص كما كتبته حينها، بكل حروفه وأخطائه:



تذكّر رأيّته؟ أين راحت ليالي السّهر في حضرة النّجوم والقمر؟ أين هي تلك الحكايات التي رويناها قرب الموقد في برد الشّتاء؟ أين هي أيّام الحرّية التي كنّا فيها نحلّق غير آهين بالهموم؟ أين ذلك البيت الذي نظر إلى نظرة الحزن والغضب حين غادرته؟ لما لم تخفي القيود مع إختفاء فجر تلك الأيّام، لما ذهبت السّعادة وحضر الحزن الحقيقي لزيارتني، لما إختفى سحر الطّفولة ولم تخفي أيّام الآهات والألم؟ يا لسخرية القدر! أتخفي الأمور الجميلة والسعيدة وتظلّ البائسات منها تخترقني خرقاً وتقتلُ! فعذرًا منّي يا بيتي العزيز، ولتسامحني يا طفولتي المنسية، فإنّي قد تغيّرت مع تغيير الأحوال، لم أعد ذلك الفتى الذي كانت ألسنة الضوء تتفجر منه، فقد أصبحت الآن صديقاً مع دياجير اللّيل، ولكنّ ليلى ليس عنده قمر واختفت منه النّجوم، لا فرصة للعودة إلى أيّامك البريئة يا طفولتي، وأنت يا من كنت بيتي، يا من كنت حاضناً لأسراري ومشاعري، أفيت الآن في نظري كومة صخورٍ لا قيمة لها، ولربّما قلبي هو الصّخر!».

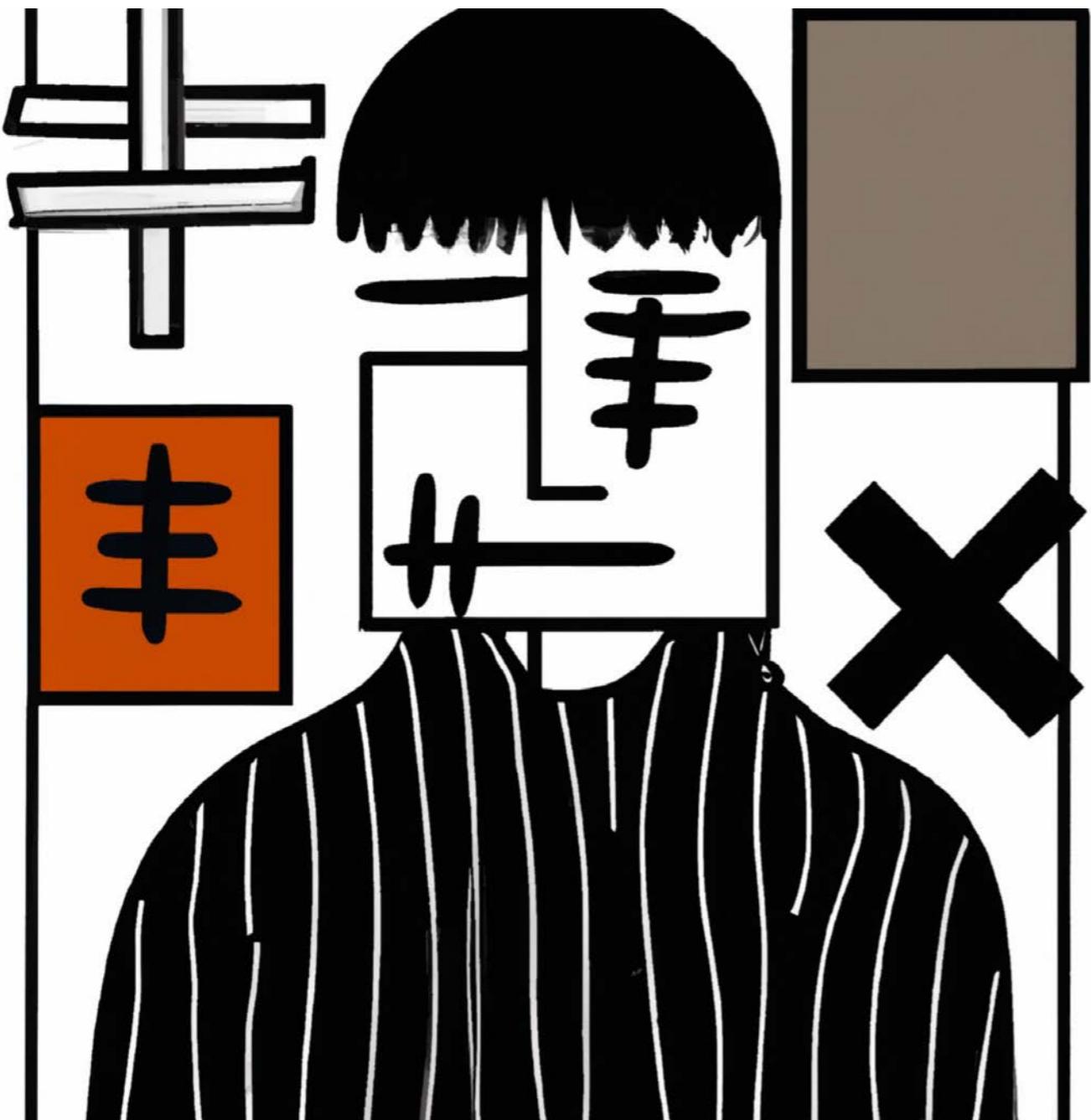
اللَّعْنَةُ (٩٠٠)

لم يصدق «ناكر» الواقع الذي آل إليه، فذهب ولمس وجه خادمته الجميلة فشعر بها، ثم تذوق مختلف أصناف الطعام حتى شبع، ثم قرر جرح نفسه بشفرة الحلاقة ليتأكد من الحقيقة بشكلٍ تامٌ، فأحس بالألم وسائل الدم من يده، فتيقن أنها الحقيقة. بقي بطل قضتنا على حالمه، يتناول الأطابق، ويقود سياراته الفخمة، وينام كثيراً، حتى أصابه الملل، فلجا إلى احتساء الخمرة، والاختلاط بعشرات النساء، وداوم على مشاهدة المسلسلات على شاشة تلفازه الجديد المربيعة، ونسى فضل ربه عليه سريعاً. استيقظ «ناكر» ذات يوم، ووجد بصره ضعيفاً على غير عادته، فالأشكال كلها مربيعة، لا اختلاف بين أمرٍ وأمر، كلها مربيعة! قام صاحبنا بغسل عينيه مراراً وتكراراً، محاولاً إعادة نظره الطبيعي، ولكن بلا جدوى! هرب «ناكر» إلى النوم، وظلّ نائماً ثلاثة ليالٍ، لعل النوم يساعف عيناه، فلم ينتفع من النوم، ودارت الأفكار في عقله: «ما هذه الحياة المربيعة؟ لا أرى فيها إلّا الأشكال المربيعة الخالية من الحياة!» ثم ذهب إلى خادمته الجميلة متأنّلاً رؤية ملامحها الفتانة، فخاب ظنه، فوجوها اتّخذ شكل مربيع مخيف، وزال الحسن عنه، فضربها «ناكر» وألقاها على الأرض، ومشى إلى مائدة الطعام التي غابت الأشكال عن أصنافها، وحاول أن يأكل، لكنه لم يستطع تحمل رؤية الفروج مربيعاً بفخذه وصدره وكلّ أعضائه، فهرب من القصر.

في حي هرم تحتاجه عاهات الفقر، عاش رجل الأربعيني يدعى «ناكر» في غرفةٍ ضعفت جدرانها وبانت آلامها. قد كان رجلنا وحيداً، ما من زوجةٍ تخدمه وما من أولادٍ يعينوه، أمّا أهله فقد فقدتهم في حادث سيرٍ مروع منذ سنواتٍ طوال. كان «ناكر» يمضي أيامه مسماً على شاشة تلفازه المربيعة، يشاهد مسلسلاً تلو الآخر، لاعناً هذه الحياة على حظه العاثر، يلوم القدر على معيشته الضنكية، الداخلية من أية عاطفةٍ تُفرح القلب أو من مالٍ يرفع المرتبة.

وذات ليلة من ليالي شهر «ناكر»، أتى ملوكُ نورانيٍّ من السماء لزيارته، وقد حمل معه رسالةً عجيبةً أمرها غامض. خاطب الملك رجلنا هذا وقال له: «إني بُعثت من ربّك، وقد أمرني يجعلك أغنىاء هذه الأرض، ولكن بشرط سريّ!» ففزع «ناكر» من هيئة الملك ومن الخبر الذي أتى به، وصرخ قائلاً: «مالٌ وفي رفعتي من الجحيم إلى جنات النعيم! وهل تسألي في هذا الأمر؟ فليكن الشرط ما يكون! إنني قبلت.» ثم غط «ناكر» في نوم عميق واختفى الملك ونوره.

استفاق «ناكر» من نومه، نابذاً أحلامه، ليجد أنها حقيقة، فقد رأى أنه في قصرٍ كبيرٍ يعج بالخدم، والطعام يملأ الموائد، والخزائن تعلق فيها ثيابٌ من أحدث الصيحات، والجاراج تصطف فيه سيارات ثمينة، والخزنة تخنق من كثرة المال.



بَكَنْ «ناكر» ناظرًا إِلَى النَّاسِ الَّتِي تَحَوَّلَتْ وجوهُهُمْ و أجسادُهُمْ إِلَى مَرَبُّعاتٍ غَرِيبَةٍ، كَيْفَ سَبِيلُ التَّجَاهِ مِنْ هَذَا الْوَاقِعِ الْجَنُونِيِّ؟ بَعْدَ عَدَّةِ أَشْهُرٍ، قَامَ «ناكر» بِزِيَارَةِ الْعَدِيدِ مِنَ الْأَطْبَاءِ الَّذِينَ حَأْلُوا مَعَالِجَتَهُ وَتَخْلِيصَهُ مِنْ هَذِهِ الْعَلَّةِ، وَلَكِنْ هِيَهَا تَهْبِطُ هِيَهَا...»

بَاعَ «ناكر» قَصْرَهُ وَاشْتَرَى غَرْفَةً يَتِيمَةً لَهُ فِي حَيٍّ فَقِيرٍ، وَقَرَرَ اِنْفَاقَ كُلِّ ثُروَتِهِ لِلْقِيَامِ بِرَحْلَةٍ إِلَى الْفَضَاءِ لِرَبِّمَا يَرَى الْأَرْضَ الَّتِي وَصَفَهَا كِتَابُ اللَّهِ وَالْعِلْمُ بِالْكَرْوِيَّةِ عَلَى هِيَئَتِهَا الْكَرْوِيَّةِ الْمَقْدَسَةِ. وَآنَ وَقْتُ الرَّحْلَةِ، وَوَصَلَ «ناكر» إِلَى الْفَضَاءِ، فَرَأَى الْأَرْضَ مَرَبُّعَةً، فَخَابَ ظَنُّهُ وَتَحَطَّمَتْ آمَالُهُ، وَبَكَنْ بَكَاءً شَدِيدًا حَتَّى نَفَذَتْ دَمَوْعَهُ. عَادَ «ناكر» إِلَى الْأَرْضِ وَقَدْ خَسَرَ كُلِّ شَيْءٍ، وَاسْتَقَرَّ فِي تَلْكَ الغَرْفَةِ... مَسْمَرًا عَلَى الشَّاشَةِ الْمَرَبُّعةِ لِتَلْفَازِهِ الْعَتِيقِ.

يَأْسٌ (٢٠٢٠)



استقرّت قبيلة جديدة من المخلوقات على أرض زهريّة اللّون، وقد اختار أفرادها إحدى الإناث لتصبح ملكةً عليهم. عاشت هذه القبيلة بسلامٍ لمدةً أحدى عشرة سنة، حتى بدأت بعض العواصف الرّعدية تزور القرية وتلسع ساكنيها، كما أحاطت القرية ضباب كثيف أعاق العيون عن تأدية الوظائف. احتارت الملكة في أمرها، كيف تنقذ قريتها من هذه الكوارث؟ كان صوت جبار يهز القرية بمن فيها يومياً، والملكة على عرشها تتشاور والوزير عن الحلول الممكنة لمواجهة هذا العدو الغامض. وعاماً بعد عام، قلّ سكان القرية شيئاً فشيئاً، حتّى مات الجميع، وبقيت الملكة منهجّةً على عرشها بفعل تضحياتها. هي حيّة، ولكن لما؟ ما من رجلٍ يعاونها على جلب الأولاد لإعادة إعمار القرية، وما من أحدٍ يواسيها في محنّتها، قد كانت إذن مرارة العيش أشدّ من رغبة البقاء، والمخلوقات تسعي عادةً إلى إزالة وعيها لتخلص نفسها من العذاب، فقادت الملكة وحملت سيفاً من سيوف أحد الجنود الساقطين، ثمّ، ثم ألقته على الأرض وبكت. لقد تشبّثت بالأمل، لربما تبتسم لها الأيام. وبعد عقدٍ من الزمن اختفت كلّ هذه الكوارث، والملكة تزوّجت من رجلٍ مسافرٍ حطّ رحاله في قريتها، والأولاد يسieren سعداء في القصر. ملكتنا تتبع الصّحيفة وتقرأ عن مملكة مجاورة أصابتها نفس كوارث قريتنا، لكنّ الفرق أن ملكتهم شقّت بالسيف قلبه، فماتت معها الأمل. تلك حكاية قريتين على أراضٍ زهريّة تسمّى عقول.

سَرِيفٌ (٢٠٩١)



كان عندي صديق اسمه «مفتاح» التقيت به أيام شبابي. وهو ذكيٌّ، يحلم بحياةٍ جميلةٍ يؤمن فيها معيشةً كريمةً لعائلته التي يحلم بها. وقد كان قلب «مفتاح» ينبض حباً لجارته «باب» الجميلة، التي تعرف عليها أثناء الصبيحة التي قام بها والديهم. وقد قام «مفتاح»، لإيقاعها في حبه، بشراء الزهور والشوكولا لها يومياً، كما قام بإغراقها بالهدايا الثمينة، وذلك بواسطة المال الذي يجنيه من عمله بعد الجامعة، فهو بذلك يضحي لها بكل شيء. أما الأمر المحزن فهو أن «باب» لا تحب «مفتاح» المسكين، وقد أدلت له بذلك عدّة مرات، ورفضت الكثير من هداياه، ولكن دون جدوى. وفي يومٍ من الأيام إستيقظ «مفتاح» وقد جهز نفسه لشراء الأطعية لحبيبته «باب»، لكنّ خبراً كالطاعة أصاب أعصاب صاحبنا بالشلل، وهو أن «باب» قد خطبت، فمفتاح ضُحى بكل شيء، وعاد خاوي اليدين، ثم خرج من بيته كخروج آدم من الجنة مذلولاً حزيناً. ذهب بعدها إلى حديقة عامة، واستلقى وحيداً مفكراً: «هنا لك أبواب أخرى لي، تنتظرنـي، أمّا هذا الباب فعلمـني أنـ ليست كلـ الأبواب تناسب مقاسـي، فقد كان للـقفل مـفتاح آخر، أمـا أنا سـأـجـد بـابـي...!»

مُورُوتَانَه (٢٠٩١)

لي أن أعيش في وسط هؤلاء وأنا خائف من إبراز أسنانني للناس، أو إسماعهم صدى ضحكتي؟ كيف؟». ومررت السنوات ساذج في آخر أيام المدرسة، تلاشت في نفسه كل آثار الفرحة، تبددت وتبخّرت فاندثرت، لم يعد ساذج ساذجاً، بل صبح كثيباً، لا يفارقه الحزن، فهل سلم الآن من مضائقات مجتمعه؟ كلاً، بل أصبح اسمهحزين الذي يدعى الحزن، فهو الذي كان يضحك على كلّ أمر، صغير أو كبير منذ سنوات، فكيف أصبح كثيماً؟ هو الكثيب المنافق وإن صدق، هو المتّهم المحروم من الحزن والفرح، هو حامل تداعيات هذه الأسماء، كيف بهذا الإسم استقبله أهله إلى العالم، ألا يحقّ لطفلٍ أن يضحك؟ لما أثقله عليه الحياة بهذه السلسل الفكريّة والنفسيّة التي تمزّق الروح؟ ولما لا يستطيع المجتمع أن يتقبّل المختلفين؟ لما لا يستطيع الإنسان أن يكون مختلفاً؟ لماذا تتفجر الغيرة في النفوس من من يضحك؟ ولما تكون القساوة على الحزين؟ فإن ضحكتنا ثارت في نفوسكم الغيرة والحدق، وإن حزناً، تضحكون أنتم على أحزاننا! هنا هو «ساذج» الآن، قد أقام حبل المشنقة، وقد كان ذكياً، لكنّ تعذيب الروح لا يطيقه بشر، ومن هنا علم والداته، وعلم المجتمع، أنّهم جمیعاً سذج، أغبياء. ها هي النسائم النقية، تدخل علينا من النوافذ، على أمل إنبلاج فجرٍ جديد في هذا العالم القاتم السّواد، على أمل أن ينسليخ عن هذا العالم جلد العفن ولتجدد خلياها، فيبعث جديداً ساذجاً ضاحكاً.

في مستشفى من مستشفيات هذا العالم، دوى ضحك طفل جديد، وتعالت صرخاته الضاحكة في جميع الأنحاء، فحملته أمّه في يديها واحتضنته، فضحك ضحكاً متواصلاً، كما قام والده بالنظر إليه فظلّ يضحك، حتى إذا حملته الممرضة انفجر ضحكاً إلى أن انهمرت الدموع من عينيه. تبعاً لذلك اختار له والداته اسم «ساذج»، فهو كالساذج الضاحك على كلّ صغيرة وكبيرة، والساذج كلمة تطلق على من يحمل صفات الغباء والبساطة الشديدة، ومن هنا تبدأ قصتنا. في سنينه الخمس الأولى بقي «ساذج» على عادته يضحك على كلّ أمر، فما من أمرٍ جديّ أو هزلّي إلّا ويرسم البسمة على وجهه المستدير.

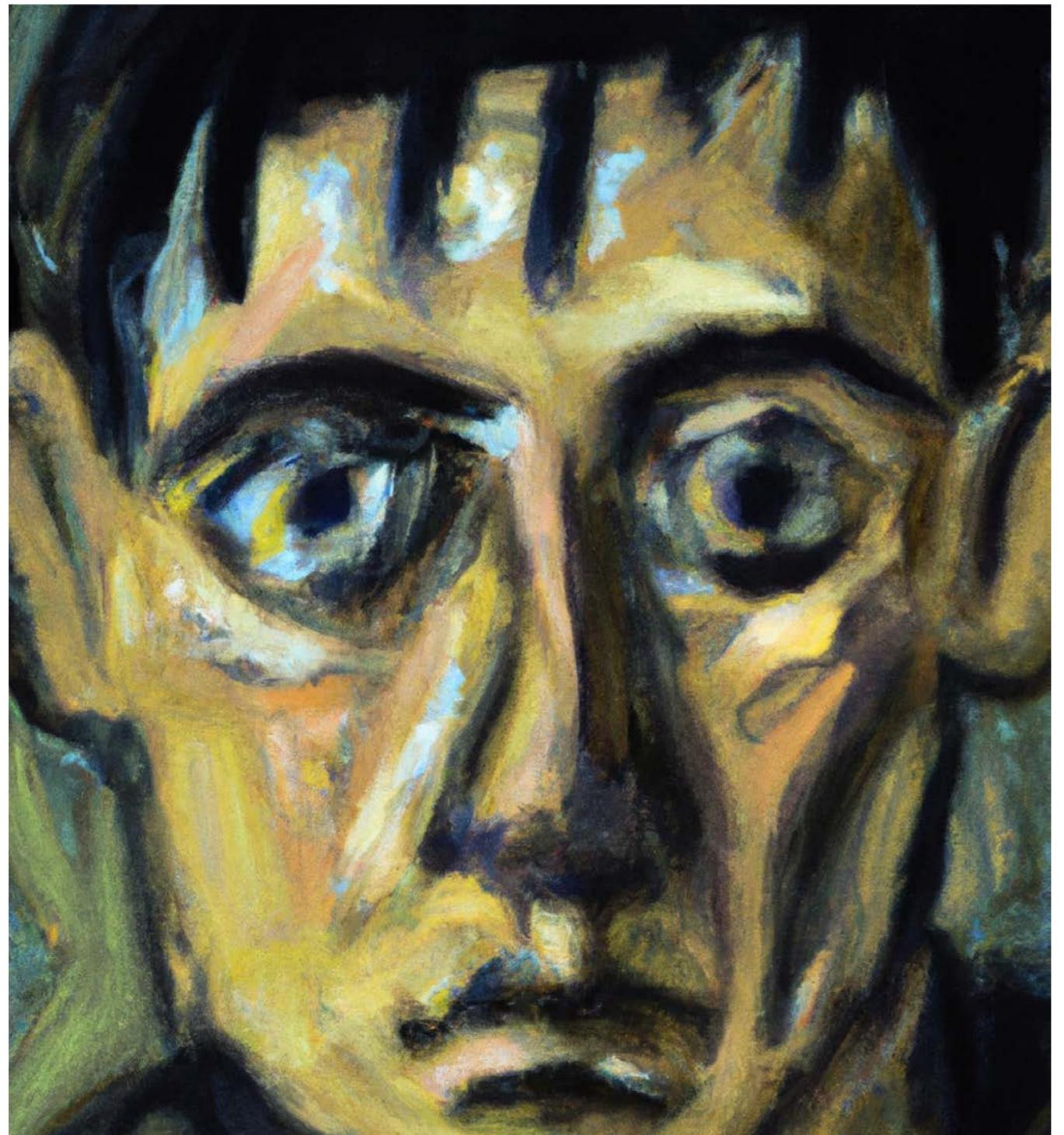
وكبر «ساذج» ودخل المدرسة، وقد كانت أيامه فيها تزخر بالعذاب النفسيّ، فهي أقرب إلى الجحيم من مدرسة، حيث كان زملاؤه يسخرون من اسمه ومن ضحكته على كلّ الأمور، فيقولون له: «أيها الأبله الساذج، لما تضحك على كلّ شيء؟ هل هناك من يداعبك بريشة أيّها السخيف؟». ومن هنا، وسنةً بعد سنة، بدأ ساذج يتضايق من هذه الحالة الكئيبة، وأخذت الإبتسامة تهجر محيّاه، واختفت ضحكته عن مسامع الجميع. لم يعد ساذج كما كان، بل تفاقمت حالته حتّى بدأ يشكّ بأنّ الضحك لربّما حرام، أولربما هو أمر ملعون. «هل محظوظ علىّ أن أضحك؟ هل هذه لعنة اسمي؟ كيف



| تَقْبِيلٌ (٨٩١) |

ما تملك أياً ديناً كُلّ إختيار، لكن وهب الله لعقولنا وقلوبنا قدرة التقبّل. فتنى شاب اسمه «نادر»، معتدل القامة، جاحظ العينين، عانى طوال حياته من التفكير المفرط بهيئته الخارجّية، فقد كان مستاءً من ما يحمله وجهه من ملامح، وبخاصة تلك العيون البارزة التي أحسّ أنها تقرف من حوله وتشعرهم بالإشمئاز. لطالما كره نادر عيونه، فهي وباللّسخريّة تجذب إليه العيون، عيون من حوله، يدقّون به، يكثرون التحليل والتدقيق، يفحصون أعينه فحصاً، أو هكذا يظن. مرآة، في غرفة النوم، غرفة نادر، يتكلّم نادر مع المرأة لساعات متواصلة، آملًا في الحصول على سبب بشاعته، وهل هناك من سر عظيم ليخلّصه من هذا العذاب.

نقاش مع المرأة، يا ليت ويا ليت، أمنيات لا تنتهي، كما اللّعنات. حديث يدور، بين الصّبي والمرأة، قلب يثور، وتذرف الدّموع. «لا أريد عيوني. إن تخلّيت عنهما زال الدّموع والعذاب.» إنعكاس وإنعكاس، يا تُرى من الحقيقي بينهما؟ ساعات وساعات معاً، لم يعد هنالك من فرق بينهما. ذاك في عالم المرأة، والآخر هنا، على أرض الواقع، أم العكس؟ صعد نادر إلى غرفته ليتalking مع المرأة، فلم يجد الإنعكاس. هل يا ترى ضجر منه إنعكاسه أيضًا؟ هل أدى قبّه وغرابته إلى هرب إنعكاسه منه؟ وهل يتبعه ظله أيضًا في الهرب؟ ما ذلك في المرأة؟ عيناً نادر الجاحظتان، تحدّقان به، تفحصانه، تحلّلانه. لم يعد يرى من إنعكاسه سوى عيناه، ونسى كُلّ أمرٍ فيه. من الذي وضع أسس الجمال تلك، أَفَإِنْ كُنْتْ نادراً، أصبحت قبيحاً؟ ومنْ إِذْنِ أَرِي كاملاً إنعكاسي؟ تقبّل...»



سَرَابٌ (٢٠١٨)

مرحباً، كيف حالك؟ أيتها الروح، غريبة تلك الأغلال التي كبلتنا، رقيقة هي، لكنّها لا تنتهي، لربما هي ملعونة. أيتها الروح، غريبة هي الأقنعة التي تعطّي وجهينا، في طياتها الخبث والمكر، لربما هي ملعونة. أيتها الروح، غريبة هي الملابس التي تكسونا، بالرغم من سُmekها إلا أنّني عارٍ، لربما هي ملعونة. أيتها الروح، لقد أيقنتُ الحقيقة! ما كانت الأغلال سوى خيوط مشاعرنا تحكم بنا ونحن نخضع لها دائمًا! أمّا الأقنعة تلك، فيها لسخريّة القدر! لا توجد أقنعة، تلك وجوهنا! أمّا ملابسنا، فتلك جلوذنا وعروقنا، ما هي إلا غطاء للأحساس التي تتقدّس في بئر وجدايننا! أيتها الروح، روحي، غريب أنا، لربما أنا ملعون!



| حلم (٢٠١٩)

كُنَا فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةً مِنْ عُمْرِنَا، نَادَى إِلَيْنَا الْحَبَّ بِصُوْتِهِ الْعَذْبِ الْأَسْرِ، فَوَقَّعْنَا فِي نَهْرِ الْغَرَامِ الْبَرِيءِ، غَرَقْنَا فِيهِ، وَانْجَرَفْنَا مَعْهُ. وَفِي يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ طَفَولَتِي التَّعِيسَةِ، اِنْتَقَلَتْ هَذِهِ الْفَتَاهُ وَأَهْلَهَا مِنْ حَيَّنَا، وَقَدْ وَدَعْتُهَا بِضَمَّةٍ أَتَمَنِي تَذَوَّقَهَا مَجَدَّاً، ثُمَّ سَهَرَتِ اللَّيلَ أَنْتَهَبَ عَلَى فَرَاقِ مَحْبُوبِتِي الْأَوْلَى. مَرَّتْ سَنَوَاتٌ عَدِيدَةٌ، وَقَدْ حَأْوَلْتُ تَذَكَّرَ آخِرَ مَرَّةٍ لَمْ أَكُنْ فِيهَا عَالَقاً وَرَاءَ كَرْسِيِّ مَكْتَبِيِّ هَذَا، فَقَدْ أُصَبِّتُ رُوحِيَّ بِالْضَّدِّ، وَتَهَاوِي الشِّعْرُ عَنْ أَرْضِ رَأْسِيِّ.

قرَّرْتُ حِينَهَا زِيَارَةَ الرِّيفِ، لِعَلَّيِّ أَعِيدُ إِحْيَاءَ نَفْسِيِّ، لِعَلَّيِّ أُذِيبُ جَلِيدَ الْمَلَلِ مِنْ دَاخْلِي. إِسْتَقْبَلْنِي نَسِيمُ الرِّيفِ بِمَدَاعِبِهِ لَطِيفَةٌ، فَشَعَرْتُ بِالرَّاحَةِ. وَفِي غَضْوَنِ ثَوَانٍ قَلِيلَةٍ، أَبْصَرْتُ شَعْرًا بَنِيًّا مَأْلُوفًا، أَذْلَكَ وَجْهَهَا، أَمْ أَنْنِي أَحْلَمُ؟ اِرْتَسَمَتْ بَعْدَهَا تَلْكَ الْابْتِسَامَةُ عَلَى شَفَّتِهَا فَأَيْقَنْتُ أَنَّهَا هِيَ حَبِيبَتِي الْمَفْقُودَةِ، لَكِنَّهَا مَا ابْتَسَمَتْ لِي، إِنَّمَا ابْتَسَمَتْ لِابْنَتِهَا الَّتِي حَمَلَهَا وَالَّدَهَا الْمَحْظُوظُ عَلَى كَتْفِيهِ. ذَهَبَتِ إِلَيْهِ كَوْخِيَ الْجَدِيدِ وَدَمْوَعِيَّ تَسِيلِ، لَكِنَّنِي تَمَّنَّيْتُ الْأَفْضَلَ لَهَا وَلِعَائِلَتِهَا.

اسْتَفَقْتُ مِنْ فَرَاشِيِّ، مَرْهَقًا بَعْضَ الشَّيْءِ، وَوَجَدْتُ أَنِّي مَا زَلتُ طَفْلًا أَبْلَغَ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِي وَكُلَّ هَذَا حَلْمٌ.



الْحُرِّيَّةِ (٨٩١)

«قلبه كالحجر» فقلب الحجر هنا لأن لتحقيق حلمه. وبعد مرور عدّة شهور غزا الملل حجرنا، فقد مرّت الفصول ولم يشعر بها، أين الشاطئ الذي لطالما قام بزيارته أيام الحرّ، أين رائحة المطر المختلفة بترب الأرض، أين أصدقائه الحشرات؟ ماذا حصل للأطفال الذين لعبوا معه أيام الماضي، وهل بات محروماً من المشاركة بثورات شعبه وأرضه؟ بدأ حجرنا يفكّر عميقاً، لقد سُلبت حرّيته عندما أصبح جزءاً من هذاائقط، كُبّلت رغباته، ما عاد له رأي في تقرير مصيره، هي حال كئيبة آل إليها حجرنا المسكين.

حاول حجرنا مراراً الهروب من الجدار الملعون هذا، ولكن كان الفشل نتيجة كلّ محاولة، فهو متصل بقوّة إخوته ولا سبيل إلى النّجاة. مرّت قرون طويلة، وورث الأحفاد أجدادهم هذا الجدار وتلك الأرض، وقد أصبح حجرنا خالٍ من الحياة بعد هذه السنين، بقيت فيه ذرة حياة يتيمة ثمينة. وفي هذه الأثناء، قرر أحد الأحفاد هدم الجدار ونسيان المزرعة وبناء منتجع سياحي مكانها فقد رزقه الله رزقا طيباً يستطيع به تخليص عائلته من عمل هذه المزرعة السّاق. وأتى اليوم الموعود وحجرنا على حافة الإحتضار، وهدم الجدار، فانتشر حجرنا برائحة الحرّية وبركتها، وتذكّر أوراق الشجر، تلك التي عهدها أيام الخريف وأيام حرّيته، وعرف الآن سرّ سعادتها، فهي وإن تحضر أثناء سقوطها، تموت حرّة، والحرّية... حياة.

حجر صلب معتدل القامة، خفيف الوزن، يجوب الشوارع باكيًا تلقيه أرجل المارة يميناً شماليًّا. مرّت على حجرنا هذا ذكريات كثيرة، فقد لعب به الأطفال لعبة «سبع حجار»، وقد كان جزءاً قيّماً من ثورات شعب هذه الأرض المقدّسة، وذلك حين رمته أيدي الثائرين على كيان ظالمتهم.

حجرنا سافر إلى الشاطئ الرملي صيفاً فتقابل والشمس على موعد دافئ ذهبيًّا. أمّا شتاءً، فعاش حجرنا أياماً تقاضته فيها السيارات هنا وهناك حيث الأحسيس المبللة، كما آنسه حشرات الرّبيع صديقنا الحجر. وفي الخريف تتمتع حجرنا بأوراق الشجر المختلفة حمراءً وصفراءً والتي نالت حرّيتها بعد سقوطها عن أغصان الشجر.

مع كلّ هذه الذكريات، حزين حجرنا، يبكي وي بكى ليلاً نهاراً، فالحجر يريد أن يكون جزءاً من حائط متين لا يتزحزح، لأن يمشي إلى حيث يسوقه القدر. جاب حجرنا مختلف الأراضي باحثاً عن من يريد إضافته إلى جداره، حتى وجد مزارعاً يريد بناء حائط يفصل أرضه عن أرض صاحبه. عرض المزارع أمر المشاركة في بناء الجدار على الحجر، فوافق الحجر دون أي مقابل، فقد أراد تحقيق حلمه الذي طال إنتظاره. مرّت الأيام والتصق حجرنا بأخواته، صانعين سويّاً جداراً قوياً لا يتزحزح، وإمتلاً قلب حجرنا بفرحة لا توصف، كاسراً بذلك مقوله:



نَصْرُجُ مَزِيفُه (٢٠١٨)

في روحي ونفسي، طفل بريء، تجتاحه الحياة ويرافقه سروري. لطالما استمتع بكل لحظة، وقد استغل كل دقة قلب ليرسم البسمة اللطيفة على وجهه الزهري. طفلنا هذا قد أصابه السقم، وقد أنهكته براثن قساوة الأيام، فشوهت قلبه ومزقت روحه الخجولة. طفلنا هذا هاجر عن روحي، وحل مكانه حجر.



حاولت التحدث والحدّر، فلم يجني، والله يعلم أنّي دائمًا ما حاولت مخالطته، لكنه ظل صامتًا، لم يأبه لأمرِي، فصرتُ وحيدًا فقدت نفسي. مرت السنون والأيام وأنا عالق في متاهات الصّمت والقساوة، لم أعد حيًّا، إنما نقشت في القساوة وخسرت برأتي. وعلى فراش موتي، راجعت أيامِي، فسادني الندم وزارتني دموعي. تصرخ أفواه داخلي، فقد خذلتني أوتاري الصوتية، ثم استلقيت على وسادي، فإذا بطيفٍ ساحرٍ مألفٍ يأتيني، فسألته عن هويّته، فقال: «أنسيتني؟ أنا ابن روحك، أنا أنت، أنا الطفل البريء الذي سرقته منك الأيام.» ارتجفت أنا ملي حينها، لكنني ضحكت مجددًا، ثم دخلت في سباتي العميق. ها قد أتى طفل العزيز ليقبّلني قبلة الوداع، ها قد أتى ليفتت الحجر، ها قد أتى ليردّني إلى الثرى، ها هو طفل قد عاد ليحملني من جديد.

مسالكين (٨٩١)



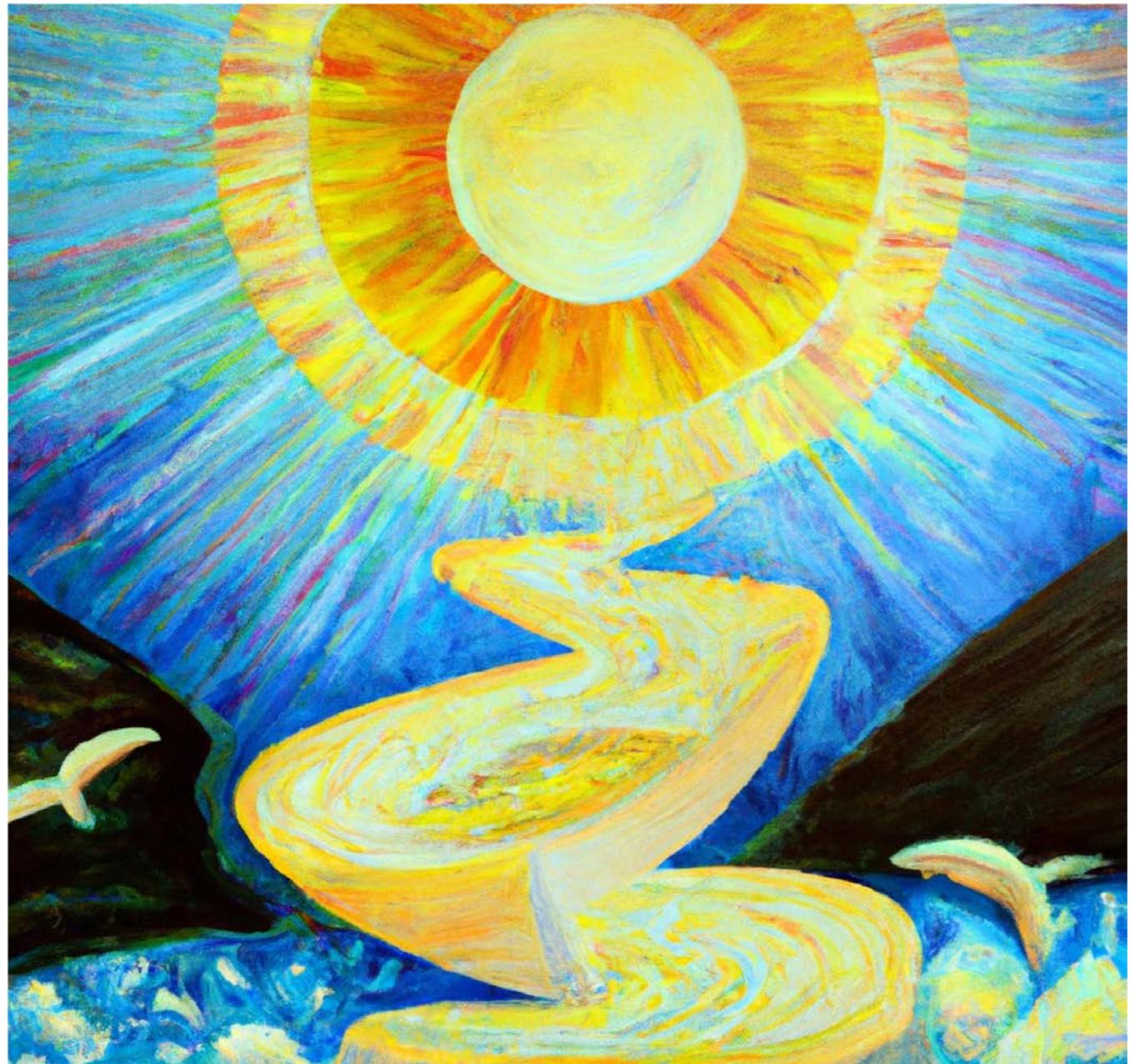
المحار، كائن بحريّ، حاله كحال الكثيرين من إخوتنا البشر، فكلّاهما يعاني من مشكلة خطيرة تدمّرهما. لكن قبل دخولنا في هذا الموضوع يجب علينا فهم طريقة تكون اللؤلؤ أولاً. فالمحار عند دخول حبة رملٍ أو كائنٍ صغيرٍ كالحشرة مثلًا جسده، يتضايق، فيقرر إستعمال المادة التي تغطي جوفه ليلفّ بها حبة الرّمل أو الحشرة الصغيرة بشكل دائريّ، ثم تتصبّح هذه المادة بعد مرور الوقت مكونة الشيء الثمين المسماً «باللؤلؤة». صغيرنا المحار هذا يشبه الإنسان الذي يتجنّب حلّ مشاكله، فيغطّيها ويؤجّلها كي تتصبّب، فيصعب فكّ أغزارها. فعديد منّا يخاف مواجهة الصّعاب التي تعرقل سير حياتنا، نهرب منها ونخبّئها، حتى يصل بنا الحال أن نختبئ منها في النهاية، فيرى المستغلون فرصةً لؤلؤيةً لإيقاعنا وإسقاطنا أرضاً، إشارةً لمصالحهم ورغباتهم المريضة، تماماً كحال المحار الذي يقع في شبّاك الصيادين الباحثين عن اللآلئ أملاً بتحقيق التّراء الفاحش، وكلّ هذا على حساب حياة المحار المسكين! لا تؤجل حلّ المشاكل التي تواجهك اليوم، فغداً تلفاها عويسةً مرتّة. تخلّص من حبيبات الرّمل تلك، لا تهجرها وتركتها فتغطّيها قساوة الأيام، فتلقاها قد باتت لؤلؤةً ملعونة.

مَعْصِلَةٌ (٦١٨)

رَحْلَةٌ مَا بَيْنَ النَّجُومِ، فِي بَحْرِ الْكَوْنِ الْفَسِيْحِ، عَلَى سَفِينَةٍ مَا رَأَتْهَا عَيْنُونَ، وَلَكِنْ تَهْوَاهَا الْقُلُوبُ. فِي ذَلِكَ السَّوَادِ الْعَمِيقِ، هَدُوْءٌ مُخِيفٌ، أَقْوَى مِنْ هَزِيمِ الرُّعُودِ، تَهْتَزُّ لِهِ الْأَعْمَاقُ، تَرْتَعِشُ لَهُ الرُّوحُ. هِيَ أَمْوَاجٌ ثَائِرَةٌ، كَمَا مِيَاهُ هَادِئَةٌ، هِيَ أَنْ تَكُونَ فَوْقَ السَّحَابِ، وَلَكِنَّكَ تَهْوَى السَّقْوَطَ. هِيَ أَفْكَارٌ تَسْبِطُ فِي بَحْرِ وَجْدَانِكَ، هِيَ الْمَشَاعِرُ تَتَشَنَّجُ فِي بَئِرٍ هَجَرَتْهَا اِنْتُ. هِيَ حَرْبٌ، جَمِيعُنَا فِيهَا جَرْحٌ، هِيَ مَعرِكَةٌ حَامِيَةٌ الْوَطَيْسِ، كَمَا مَغَامِرَةٌ تَتَوَقُّ إِلَيْهَا النُّفُوسُ. هِيَ الْمُسْتَحِيلُ يَصْبُحُ وَاقِعًا، وَالْوَاقِعُ خِيَالٌ بَعِيدٌ، هِيَ مَفَاهِيمٌ مَعَقَّدةٌ، مَعَ اُنَّهَا كَلْمَةٌ بَسِيْطَةٌ مِنْ مَجْمُوعَةِ حِرْوَفٍ. هِيَ الْمَوْتُ وَالْحَيَاةُ يَنْسِجُهَا، فَيَلْتَهِمَا مَعًا، وَيُلْحَنَانِ سِيمْفُونِيَّةً نَغْنِيَهَا نَحْنُ الْبُلْهَاءُ، وَلَكِنْ مَا هِيَ؟ هِيَ كَلْمَةٌ عَجِزَ لِسَانِي عَنْ لَفْظِهَا، فَاسْتَعْنَتُ بِالْقَلْمَنْ. هِيَ حَلْمٌ بَعِيدٌ، هِيَ كَلْمَةُ الْحَبَّ التَّابِضَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ.



أُوراقٌ (٢٠٢٢)



الأوراق، حفظة الذواطر، قادة الفنّ، حملة الرسائل والشّوق، كما في الكثير من الأحيان التّرهات. هذه الورقة، بمختلف أنواعها وأحجامها، أصلها واحد. كُلّ الورق يعود إلى جذوره، حرفيًا، إلى الشّجرة، كما نحن البشر نعود إلى أصلنا، إلى آدم. وإنّ للورق مشاعر، فالورقة تحبّ أن تحمل سطورها كلمات جميلة، ك أبيات شعرٍ تلتطم فيها أمواج الحكمة، أو كلمات أغنيةٍ يصدق بها صوت عبد الحليم. تلك الورقة تحبّ من صاحبها، من القلم، أن يعطيها قيمة. تتوق إلى أن تصبح لوحة فنان، إلى أن تصبح خزينة أسرار، أو إلى أن تكون وذويها كتاباً مفيداً، تتوق إلى الأمور الجميلة. فلا تذبح الورقة، ولا تهدرها بكلامٍ سخيف، لا تدنسها بتفاهةٍ ما كي لا تُشعرها بالأسى والخجل، اتركها بيضاء طاهرة خير لها من كلمات تافهة لا نفع لها.

كما أوراق أرواحنا، تفضّل الكلمات الجميلة والمفيدة، التي تغلف القلب بثوب الفرح والعلم، وتحقد على الكلمات التي تسبب لها الإحراج والألم. تهوى أوراقنا البصمة الصادقة الثمينة واللوحات النقيّة. فاحذر من ما تدوّنه على صفائح غيرك، زينها بالرسمات، ولا تهدر وقت غيرك بكلامك الفارغ أو الجارح الخبيث، كي لا تُبقي في نفس أحدٍ أية أثر سيء يصعب محوه. ولجعل من قلمك لطيفاً معطاءً، كي يتسمّ للجميع التفاخر بمرورك على صفحات كتابهم.

إِخْتَلَافٌ (٨٩١)

تحيون فيها
ليل نهار،
ما لقمنا خارجاً
أيّ أنصار،
ويَا واهماً
من قوم الغبار،
ويَا حالماً
بتغيير الأقدار،
من هذه المدينة
لا فرار.»

«يا معشري
يا قوم الغبار
قد هربنا من
جيوش النمل الجزار
فجئنا بكم
إلى هذه الدار
وشيّدنا حولها
جداراً وأسوار.
جعلت فيها لكم
حمايةً واستقرار،

عندئذٍ دقّت في رأس غبرون أجراس الفضول، فسأل معلمته عن العالم
الخارجيّ، وتسائل عن ما اذا كانت الطبيعة خارجاً تختلف عن طبيعة هذه
المملكة؟ ولعلّ هنالك أقواماً غيرهم والنمل؟ تعجبت المعلمة من هذه
الأسئلة الغريبة، المنافية لتقالييد المجتمع، وغضبت أشدّ الغضب، فقد اعتبرت
هذه الأسئلة خطيئة لا تُغتفر، وقامت بإرسال غبرون إلى بيته وإستدعاء
أهلها. شعر غبرون بالظلم الشديد، أمحّرم عليه أن يسأل، أن يكون فضوليّاً؟
لماذا ابتلي بهذا العقل الساعي الفضولي؟ كيف يستطيع أن يرتوي فضوله

وفي أيامٍ خلت، كان لمعشر الغبار مملكةٌ كبيرةٌ تحمل على أكتافها كلّ
فردٍ من أفراد هذا الجنس، فقد تجمّع قوم الغبار واستقرّوا على هذه
المنطقة قبل آلاف السنين. وقد كان لهذه المملكة، أو القوم، عيبٌ كبيرٌ،
فهم منغلقون على أنفسهم، لا يسمحون لأحد بالدخول إلى أرضهم، وهم
أنفسهم لا يغادرون المملكة، بل يولدون، فيكبرون، فيشيخون، ثمّ يموتون
دون رؤية أي شيء خارج أسوار المدينة. ولم يحاول أحدٌ من القوم أبداً
الخروج من الأرض، كما أنّهم لم يفكروا أصلًا في ذلك، حتّى أتى «غبرون»،
فتى عاديٌّ كغيره من الفتياں في سنّه من أهل الغبار، لكنّه ولد بلعنةٍ في
نظر قومه، هذه اللعنة هي الفضول. منذ صغره، هو غبرون الإستكشاف
والإستطلاع، فلم يكن يحبّ أن يبقى في البيت، بل كان دائمًا ما يودّ الخروج
والتنزه في دروب الطّبيعة، ليرى الناس، وليري عجائب هذا العالم. ثمّ دخل
غبرون المدرسة، وبدأت المدرسة بحصص عن الحضارة الغباريّة، فذكروا
للطلاب مؤسّس هذه المدينة العظيمة، الملك غابر الأول، وكيف إستطاع
التصدي لجيوش النمل الجزار ثمّ إيجاد هذا المكان ليكون المستقر الأبدديّ
لأهل الغبار. وقد كان في كتاب غبرون صور عن الأهرامات الغبرية وعن كافة
ملوك هذه المملكة، وأخذ غبرون يقلب في صفحات هذا الكتاب حتّى اهتدى
إلى صفحاته الأخيرة التي كتب عليها:

فإن علم الملك غابر الرابع عشر، أن أحد مواطنيه يرغب بالرّحيل، يقوم بإعدام أهله وجميع أقاربه للقضاء على نسله المريض. لكن الرغبة في الإستكشاف والخروج غير قابلة للكبح، فأخذ غبرون يحفر في أرض قبوه لعدة أشهر، فتدوّلت الحفرة إلى نفق يؤدي لخارج المدينة، وبات غبرون يسافر مرّة أسبوعياً، يوهم أهله أن كلّ خميس لديه عمل مهم في القبو يستغرق يوماً كاملاً، فلا يريد الإزعاج.

وبدأت مغامرات غبرون في دروب العالم الجديد، حيث قام بزيارة عدّة قرى وممالك فتعرّف على أهاليها وطبيعتها وجغرaviاتها وحضاراتها، وقام بإنشاء عدّة خرائط للعالم كما كتب متنوّعة عن أصول المخلوقات.

ومرت السنوات، وبقي لغبرون زيارة مملكة واحدة أليس أن يزورها سابقا، فهذه المملكة كانت سبباً لمقتل العديد من بنى قومه، نعم، هي مملكة النمل. وقبل يوم من السفر، اجتاحت أفكار مريضة عقل غبرون، فقد كان يتھيأ للموت عند النمل، فهوّلء القوم في حرب مع قومه، وبالتأكيد سيقتلونه لأنّه من أهل الغبار. ترك غبرون خرائطه وكتبه في بيته، لعلّ قومه يستفيد منها لاحقاً عندما تنكسر لعنتهم، وقد أحسّ أهله بهالة الوجوم والحالة التعيسة التي تحيط غبرون، فظنّوا أنه يواجه مشاكل في عمله في القبو.

وهو محروم من ماء العلم والمعرفة؟ كلّ علامات الإستفهام هذه راودت غبرون المظلوم وهو في سريره، إلى أن قاطعت أمّه حبل أفكاره.
«لا تكترث يابني، هي مرحلة فضول وتمر، غداً تصبح كغيرك من رجال هذا القوم، لا يكترثون إلى كل ما لا صلة له بالمدينة، يفدون أرواحهم لتطوير هذه المدينة وإعمارها.»

«ولكن يا أمّاه، كيف السبيل إلى تطوير هذه المدينة ونحن لا نثرون فيها؟ يجب علينا الخروج للتعرّف إلى الأمور التي نجهلها، علينا رؤية وإتخاذ أساليب مفيدة من شعوب أخرى إن وجدت، هلمّوا بنا للإكتشاف، هلمّوا بنا إلى مغامرة العلم! هؤلاء القوم يدعون الوطنية، ولكن وطنيتهم زائفة، إن كانوا حقاً يحبّون الوطن، لما قبعوا فيه وانعزّلوا عن العالم!»

«يا حبيبي يا ولدي، ما هذا المرض الخطير الذي أصابك! فليشفك الله، فليشفك الله!»

قالت الأم تلك الكلمات وخرجت من غرفة الصبي يملأها الخذل. مرّت السنوات، وغبرون محافظ على طبيعته الفضوليّة، متشبّث بحلم الرحيل والإستكشاف ليتحقق ذاته، وقد خبأ هذا الفضول خوفاً على سلامة أهله،

معرفة خلفياتهم. وبهكذا تحدّث الإثنان معاً وتعرّفا، فقدّم كلّ واحد نفسه للآخر، ثم اصطحبـت نملية غبرون في جولة حول المملكة، وتـحدّثـتـ لهـ عنـ التاريخـ الطـافـلـ لـقـوـمـ النـمـلـ وـعـنـ عـادـاتـهـ وـتـقـالـيدـهـ المـتـنـوـعـةـ وـالـأـسـاطـيرـ التيـ أـدـتـ إـلـىـ نـشـؤـهـاـ. كانـ غـبرـونـ يـحـاـوـلـ تـدوـينـ كـلـ ماـ تـقـولـهـ نـمـلـيـةـ فـيـ مـذـكـرـتـهـ، لـكـنـهـ كـانـ بـطـيـئـاـ فـيـ الـكـتـابـةـ وـقـدـ جـهـلـ فـيـ تـلـكـ الـلحـظـةـ سـبـبـ ذـلـكـ،ـ غيرـ أـنـهـ أـحـسـ بـنـوـعـ مـنـ الضـيقـ وـقـدـ أـسـنـدـ ذـلـكـ إـلـىـ عـدـمـ اـرـتـيـاحـهـ بـيـنـ النـمـلـ بـسـبـبـ العـدـاوـةـ التـارـيـخـيـةـ بـيـنـهـمـ وـبـيـنـ قـوـمـهـ. أـسـبـوـعـ بـعـدـ أـسـبـوـعـ، جـوـلـةـ بـعـدـ جـوـلـةـ، نـشـأـتـ بـيـنـ غـبـرـونـ وـنـمـلـيـةـ عـلـاقـةـ مـتـيـنـةـ، فـقـدـ سـافـرـاـ مـعـاـ إـلـىـ جـمـيعـ أـنـاءـ الـمـلـكـةـ، يـتـبـادـلـانـ أـطـرـافـ الـحـدـيـثـ طـوـلـ النـهـارـ، فـغـبـرـونـ يـرـوـيـ لـنـمـلـيـةـ عـنـ مـخـتـلـفـ الـأـرـاضـيـ وـالـشـعـوبـ وـالـإـحـتـفالـاتـ، وـعـنـ الـأـمـورـ الـمـضـحـكـةـ الـتـيـ حـصـلتـ لـهـ أـثـنـاءـ سـفـرـهـ حـوـلـ الـعـالـمـ، وـنـمـلـيـةـ تـعـلـمـ غـبـرـونـاـ لـغـةـ النـمـالـ وـتـزـيـدـهـ عـلـمـاـ حـوـلـ تـارـيـخـ قـوـمـهـاـ كـمـاـ تـارـيـخـهاـ هـيـ، فـتـحـدـثـهـ عـنـ عـائـلـتـهـاـ وـعـنـ مـبـادـئـهـاـ، كـمـاـ الـأـمـورـ الـتـيـ تـؤـمـنـ بـهـاـ، فـوـقـعـاـ فـيـ حـبـ بـعـضـهـمـاـ الـبـعـضـ وـاعـتـرـفـ غـبـرـونـ لـنـمـلـيـةـ بـعـشـقـهـ لـهـاـ وـبـأـنـهـ يـرـيدـ أـنـ يـتـزـوـجـهـاـ، وـأـقـنـعـهـاـ بـالـهـرـبـ مـعـهـ لـلـعـيـشـ عـلـىـ تـلـةـ تـحـيـطـهـاـ غـابـاتـ عـدـيـدةـ وـطـبـيـعـةـ سـاحـرـةـ، فـوـافـقـتـ نـمـلـيـةـ وـاتـفـقـاـ عـلـىـ أـنـ موـعـدـ الزـواـجـ بـعـدـ شـهـرـ مـنـ الزـمـنـ.

ثمّ أتـتـ الـخـمـيسـ، وـسـافـرـ غـبـرـونـ إـلـىـ أـرـضـ أـكـبـرـ مـمـلـكـةـ نـمـالـ فـيـ الـعـالـمـ. وـقـفـ غـبـرـونـ مـرـتـعـشـاـ أـمـامـ بـوـاـبـةـ الـمـمـلـكـةـ، فـالـشـائـعـاتـ الـمـنـتـشـرـةـ عـنـ قـوـمـ الـغـبـارـ عـنـ وـحـشـيـتـهـمـ لـاـ تـبـشـرـ بـالـخـيـرـ، وـلـكـنـ غـبـرـونـ وـبـفـضـلـ شـجـاعـتـهـ التـيـ اـكـتـسـبـهـاـ خـلـالـ رـحـلـاتـهـ الـعـدـيـدةـ تـمـالـكـ نـفـسـهـ وـقـهـرـ خـوـفـهـ، ثـمـ دـخـلـ الـبـوـاـبـةـ لـتـرـتـسـمـ أـمـامـ نـاظـرـيـهـ جـمـوعـ النـمـلـ وـأـفـوـاجـهـ التـيـ اـنـهـمـكـتـ بـالـعـمـلـ، وـقـدـ أـصـيـبـ غـبـرـونـ بـدـهـشـةـ كـبـيرـةـ لـشـدـدـةـ تـنـظـيمـهـمـ وـدـقـقـةـ عـمـلـهـمـ، فـهـرـعـ يـكـتـبـ فـيـ مـذـكـرـتـهـ عـنـ هـذـهـ الـحـادـثـةـ الـمـثـيـرـةـ وـالـتـيـ قـدـ تـفـيـدـهـ فـيـ أـبـحـاثـهـ فـيـمـاـ بـعـدـ. مـرـتـ بـعـدـهـاـ لـحـظـاتـ قـصـيـرـةـ، ثـمـ أـتـتـ نـمـلـةـ لـاـ تـشـابـهـ غـيرـهـاـ مـنـ بـنـيـ النـمـلـ، فـقـدـ بـدـتـ لـغـبـرـونـ أـنـهـاـ نـمـلـةـ مـتـقـفـةـ مـتـعـلـمـةـ، عـكـسـ هـؤـلـاءـ الـعـمـالـ الـذـيـنـ يـكـرـسـونـ أـوقـاتـهـمـ لـلـعـلـمـ لـاـ لـلـعـلـمـ.

نـمـلـتـنـاـ هـذـهـ إـسـمـهـاـ نـمـلـيـةـ وـقـدـ كـانـتـ مـرـشـدـةـ سـيـاحـيـةـ، تـسـاعـدـ الـمـسـافـرـينـ الـقـادـمـينـ إـلـىـ مـمـلـكـةـ النـمـلـ لـتـعـرـفـهـمـ عـلـىـ تـارـيـخـ الـمـمـلـكـةـ وـجـعـرـافـيـتـهـاـ وـمـزاـيـاهـاـ، وـقـدـ بـعـثـتـ لـإـصـطـحـابـ الـمـسـافـرـ الجـدـيدـ، غـبـرـونـ، لـتـرـافـقـهـ أـثـنـاءـ الرـحـلـةـ عـلـىـ أـرـاضـيـ الـمـمـلـكـةـ. تـفـاجـأـتـ نـمـلـيـةـ بـغـبـرـونـ بـادـئـ الـأـمـرـ، فـإـنـ فـرـداـ مـنـ قـوـمـ الـغـبـارـ لـمـ يـطـأـ أـرـضـ النـمـالـ مـنـذـ أـيـامـ الـحـربـ، أـيـ قـبـلـ قـرـونـ عـدـيـدةـ، وـدـارـتـ فـيـ رـأـسـهـاـ فـكـرـةـ أـنـ غـبـرـونـ قـدـ يـكـوـنـ جـاسـوـسـاـ، وـمـنـ الـأـفـضـلـ طـرـدـهـ، لـكـنـ سـيـاسـةـ الـمـمـلـكـةـ تـقـضـيـ بـإـسـتـقـبـالـ جـمـيعـ الـمـسـافـرـينـ وـالـمـغـامـرـينـ مـنـ دـوـنـ

فقط غبرون هو من قرأ هذا الكتاب في المملكة، فأمر الملك بإستدعائه. ذهب الحرّاس إلى بيت غبرون ودقّوا على بابه، ففتح لهم الألب، فسألوه عن غبرون، فقال لهم أنه يغلق على نفسه القبوكل خميس ليؤدي عمله ولا يخرج قبل طلوع الصبح. لكنّ الحراس لم يستمعوا للألب وأخذوا يحطّمون باب القبو بالقوّة، وبعد تحطيمه، دخلوا القبو، أيقنوا غياب غبرون، واكتشفوا نفقه الذي يؤدي إلى خارج المملكة، فعلموا بجريمة العظيم، ثمّ قيدوا أهله وأرسلوهم إلى السجن. أبلغ الفجر، والحرّاس قابعون في بيت غبرون ينتظرون مجيئه للقبض عليه، أما غبرون فقد كان ونمليّة في طريقهما إلى البيت، يعبران النفق، وفي رأسيهما أحلام الرحيل إلى أرض بعيدة، ليعيشَا معاً في هناء وسعادة، بعيداً عن هذه الأرض المريضة التي تنبذ العلم والفضول وتقيّدهما، لكنّهما لم يعلما أنّهما يسيران إلى هلاكهما.

وصل بطلاً إلى القبو، وما إن بدأ غبرون بتوضيب أغراضه حتى هجم عليه خمسة حراس، وذهب آخران للقبض على نمليّة، فقفز غبرون بسرعة وضربهما فأسقطهما، لكن الكثرة تهزّم الشجاعة، وتم تقييد غبرون ونمليّة وإرسالهما إلى قصر الملك.

الملك: سؤال، سؤال،

يا بنت النمال

أتيت هنا

وبعد أسبوع وأثناء غياب غبرون، اقتدم جاسوس من مملكة مجاورة مملكة الغبار، محاولاً الحصول على معلومات عن قومهم وذلك لأنّ جيش مملكة الجاسوس يخطط لغزو مملكة الغبار. وفي منتصف الليل، تحت ضوء القمر، انطلق الجاسوس لينفذ المهمة، فدخل من خلال نفق ظلّ يحفر فيه أساييغاً، ولم ينتبه أحد من قوم الغبار للنفق لأنّهم لا يخرجون من مدینتهم، واتّجه الجاسوس إلى القصر الملكي محاولاً الوصول إلى الخزنة التي تضم معلومات المملكة السرية، وقد كانت هذه الخزنة موجودة في قبو يقع في أسفل طبقات القصر، ووصل الجاسوس إلى القبو المظلم ورأى الحراس نائمين، ثم قام بفتح الخزنة بعد عدّة محاولاتٍ مبدياً إحترافية في صنعه، وعندما أراد الخروج اصطدم الجاسوس بطاولة طعام عليها أ��واب حديديّة، فوّقعت وأحدثت ضجة أيقظت الحراس، وببدأ الملاحقة. باعثت الجاسوس الحراس كثيراً، حتّى اقترب من نفقه، ولكن مجموعة من الحراس القريبين انقضّوا عليه وكبلوا يديه وأخذوه إلى القصر ليلتقي الملك. في قاعة العرش، مثل الجاسوس أمام الملك السمين، التي بدت عليه ملامح السذاجة، وبدأ بـاستجواب الجاسوس الذي أبس أن يتكلّم أو أن يُفصّح عن أيّ معلومة عنه. وقد كان جميع الحاضرين يجهلون هويّة الجاسوس، بحيث لم يتقدّموا عناء قراءة كتاب «عجائب المخلوقات والأجناس»، فقد وجدوا فيه مضيعة للوقت وتفكيراً متطرّفاً يشجّع الغريزة الغباريّة إلى الفضول، وقد كان معروفاً أن

البعض، ولكن كلا الجنسين يشعر، كلا الجنسين يعرف السعادة، الغضب، والحزن على فقد من تهواهم قلوبنا، كُلُّ يُعرف الخوف، ذلك الخوف الذي زرعته بذوره في نفوسنا، الخوف من بعضنا والخوف من الإستكشاف والتجربة والعلم والفضول. هذا زمانٌ لعين، وهذه مملكة ملعونة، فكيف لا تكون ملعونة والأمور المقدسة فيها ممقوته، بينما الأمور الحقيرة فيها محفوظة؟ المحب مدروم، العلم حرام، الفضول خطيئة، والإستكشاف رذيلة، بينما تحيا فينا وتأكل منا التفرقة والعنصرية، كره الغير والحدق عليه، كما يطغى فوق الجميع الجهل ليثبت السيء ويمحى أي أثر للصلاح والتغيير. الجهل متصل فيكم، أنتم في م tahات، أنتم في قوقة ومستنقع، أنتم ضائعون! تائهون حمقى!

(يعض لسانه فيسقط ميتا)

الملك: «إقتلوا أهله أيضاً، هذا الذي تجرأ على تدنيس صورتنا وجلب إلينا أعدائنا، لا يستحق ذويه العيش.»

(يقتل الأهل)

(في هذه اللثاء، وخلال هذه الضجة والجلبة إستطاع الجاسوس الفرار من سجن القصر بواسطة مهاراته وخدعه. وقد توجه مباشرة إلى قصر ملكه وبعث برسالة إلى ملك النمل يخبره فيها بموت نملة على يد الملك غابر). بعد فترة يجتمع ملك الجاسوس وملك النمل، حيث يناقشان الأحداث

لبدء احتلال؟
سؤال، سؤال،
يا بنت الأنذال
أتىت هنا
لبدء النزال؟
غبرون (مخاطبا الملك): احترم بنت النمال
واعلم أَنّك في ضلال
ما جئنا إلى هذى الجبال
إلا لأنّد ما يلزم للترحال
نملية: فيا صاحب الوقار، يا صاحب الجلال
اسمح لنا بالترحال.

الملك: «حسئتم، أنا غابر الرابع عشر، تدخل مملكتي نملة حقيرة ثم أسمح لها بالخروج؟ أيها الحراس إقتلوها!»

نملية:» حبيبي غبرون، أظن هذا الوداع، ألقاك في حياة أخرى... في عالم لا يفرق فيه بين حبيبين بسبب جنسهما.»

(يطعنها أحد الحراس بسيفه فتموت موتة مؤلمة)

غبرون: «تبّا لك يا أيها الملك الظالم، أقتل التي خفق قلبي إليها؟ تبّا لكم ولحربيكم، ضحكتم على الناس قرونًا طويلة، أو همتوهم بأنّهم أعداء بعضهم



التي صارت في المملكة الغبارية، ويتفقان بناء على ما حصل بإعلان الحرب المزدوجة على المملكة الغبارية رغبة بالإنتقام وتحقيق مصالح شعبيهما.
(بعد عقد من الزمن)

انتهت الحرب، وقد مات فيها آلاف الغباريين، هذه الحرب الماحية، التي أسقطت مملكة الغبار عن خرائط هذا العالم، هذه الحرب التي شرّدت هذا القوم، القوم الذي لعن العلم والفضول والإختلاف فلعنهم القدر. هذا القوم الذي هجر غبرون وقتلهم، لعنته هي الهجرة الدائمة، فلا مأوى أبدى لهم يقيهم من مخاطر الحياة. هؤلاء القوم الذين نبذوا وقتلوا الترحال، مصيرهم الأبدى الآن هو الترحال من مكان إلى مكان محاولين الصمود والإستمرار. والمضحك في كلّ هذا أن الأمر الوحيد الذي يساعدهم على المضي قدماً هي خرائط وكتب غبرون، غبرون المسكين المنقذ لمن قتلوه. هذه قصة الغبار ولعنتهم، هجروا فيها جرون إلى أبد الأبدى.

أَمْلَأَ (٢٠٦٦)

مرّت سنوات عديدة وفتاتنا تخطط لسرقة الأحلام من الملك، فذهبت إلى القصر وقد لبست ثياب الخدم، واتخذت لنفسها هوية مزيفة، وعملت في القصر لسنوات مديدة ليذهب عنها الشك، وقد تلقت العديد من أنواع العذاب في القصر، من اغتصاب الجنود لها، وضرب الضيوف لها إذا ما أخطأ... كل هذا في سبيل الحصول على الحلم والهروب من الواقع. حان اليوم الموعود، الخطة التي استغرقت سنوات طويلة من عمر فتاتنا، اللحظة قد آتت.

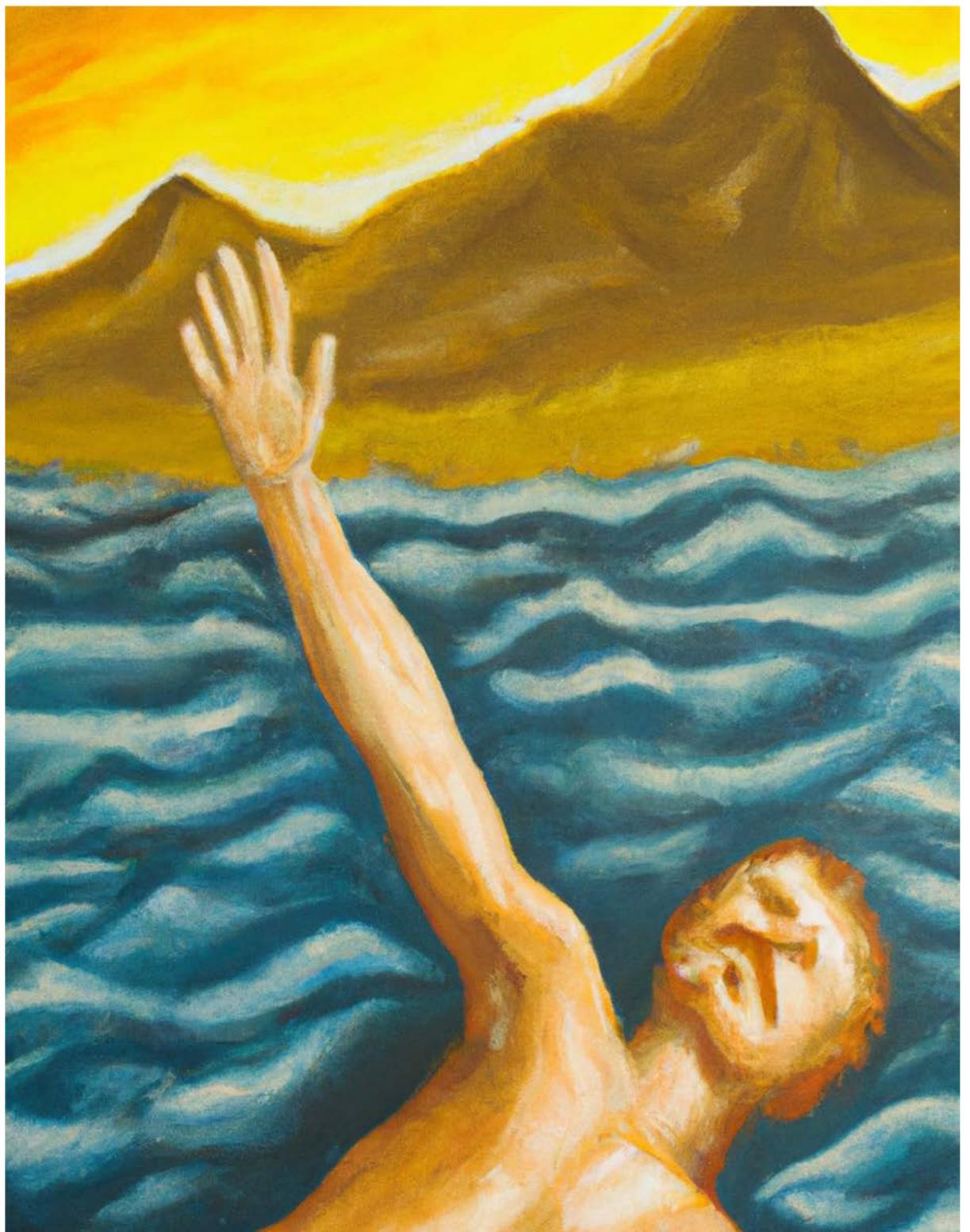
أصبحت الفتاة سيدة الخدم، وهي الآن مسؤولة عن خدمة الملك مباشرة. قد كان معروفاً عن الملك أنه إذا أعجب بفتاة ما من الطبقات السفلية يغتصبها ثم يرسلها إلى السجن في أسفل القصر وبناءً على المعلومات التي اكتسبتها فتاتنا فغرفة الأحلام قريبة من السجن. وهكذا تم الأمر كما توقعت الفتاة فأعجب الملك بجمالها الساحر فاغتصبها وأرسلها إلى السجن. قد أخذت الفتاة مقاييس قفل السجن أثناء خدمتها منذ سنوات حيث كانت تحضر لهذه الخطة منذ البداية. خبأت الفتاة المفتاح تحت لسانها وانتظرت نوم الحراس ثم خرجت وصعدت إلى الغرفة، لتشهد غرفة الأحلام! دخلت لتحمل بعالم جديد، لتهرب من تعasse الواقع، لربما تذوق الفرحة في الحلم، لربما تحييا! لكن هيئات هيئات، غرفة الأحلام مجهزة بأدوات إنذار تعمل عند

في عالمٍ ما، على أرضٍ ما، أناسٌ يشبهوننا. في تلك الأرض، كانت الأحلام للأغنياء، تُباع كالأفلام لمن يرغب بشرائها. في تلك الأرض، مجتمعٌ طبقيٌّ، على رأسه الملك وأسرته، ثم الطبقة الغنية فالفقيرة فالعبيد. وقد كانت الأحلام حصراً فقط على الطبقتين الملكية والغنية، فقوانين المملكة تمنع منعاً باتاً لأي فرد ينتمي إلى طبقي الفقراء والعبيد بالحلم. في قاع طبقة العبيد، فتاة بلا إسم، منبوذة من الجميع. كانت الفتاة غريبة ضائعة في هذا المجتمع، كحصاة تتقاذفها أرجل المارة، لا تدرى متى تستقر ولا تدرى أين تذهب. حياتها تعيسة، يغتصبها من يريد دون أي عقاب، يضرها أي مار من أي طبقة، كانت ضحية لهذا النظام الظالم الجائر. فتاتنا ما لها والدان، يتيمة تجول على هذه الأراضي بلا هدف أو غاية، أصبحت كקוב فارغ، جسداً بلا روح، فقد تلاشت لديها معاني الحياة، وجفت عيونها وباتت عاجزة عن ذرف الدموع. وأثناء عملية اغتصاب لها من قبل رجلٍ غنيٍّ مجنون، سمعت فتاتنا عن أمر يسمى بالـ«حلم»، حيث وصفه كبار خدم الغني بأنه هروب من الواقع كالموت، لكنه جميل عكسه، أما المعضلة الكبرى فهي أن الموت مجانيٌّ أمّا الحلم فغالٍ جداً! أمضت الفتاة يومها تفكّر عن «الحلم» الغريب. فما هو الحلم؟ كيف يشعر من يحلم؟ وهل بإمكانها أن تتحقق أحلام يوماً؟ ثمّ غطّت في نوم أسود خال من الألوان والأحلام.



دخول فرد غير الأسرة المالكة إلى الغرفة، وبهكذا تفجّرت أصوات الإنذار ليستيقظ الحراس متّجهين نحو الغرفة. فتاتنا على الأرض تبكي منهزمة، تلك السنين كلّها، بلا فائدة؟! بلا معنى؟! ذكرتها هذه الخطة بنفسها، بلا فائدة، بلا معنى، بلا هدف. جاء الحراس، ثمّ وجّهوا أسلحتهم على فتاتنا، و... قتلوها لأنّها أرادت أن تحلّم. بكت ملائكة السماء حزناً على الفتاة، فسبّيلها للهروب من الواقع لم يكن الحلم بل كان - للأسف - الموت. وبعد آلاف السنين، قرّر الملك تذكّرًا لهذه الحادثة جعل الأحلام للجميع مهما كانت طبقاتهم، ألوانهم، أعراقهم، أجناسهم. الحلم للجميع، وفتاتنا الفاقدة لاسمها تحلم الآن مع كل البشر.

فِرَحُ الصَّحْرَاءِ (٢٠٦١)



رَحْلَةً أَنتَ، تجوبُ الآن الصَّحْرَاءَ الْمَمِيتَةِ. أَثْنَاءَ تجوُولِكِ فِي هَذِهِ الْمَيَادِينِ الرَّمْلِيَّةِ الْوَاسِعَةِ تَجِدُ حَفْرَةً مُتَوْسِطَةَ الْحَجْمِ، بِإِمْكَانِكِ أَنْ تَدْخُلَ فِيهَا، وَلَكِنَّكِ لَا تَرِيدُ إِنْتَرَافًا عَنْ طَرِيقِ رَحْلَتِكِ الْأَصْلِيِّ، وَلَا تَرِيدُ إِرْهَاقَ نَفْسِكِ فِي وَسْطِ الصَّحْرَاءِ. عَنْدَ تَفْقُّدِكِ لِلْحَفْرَةِ، تَشْعُرُ بِأَحَدٍ يَدْفَعُكَ نَحْوَهَا، وَتَسْقُطُ. أَنْتَ الآن عَلَى طَأْوِلَةِ كَسْرَتِهَا سَقْطَتِكِ، يَحِيطُ بِكَ مَجْمُوعَةً أَنَاسٍ تَظَهَرُ عَلَيْهِمْ مَلَامِحَ تَعْجِبَ وَدَهْشَةً. يَقُولُ أَحَدُهُمْ: «هُوَ هَذَا، هُوَ رَسَالَةُ سَمَاوَيَّةٍ، جَلَبْتَهُ إِلَيْنَا السَّمَاءُ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لِيَكُونَ تَلْبِيَةً لِحَاجَتِنَا». يَتَّجِهُ نَحْوَكَ رِجَالُانِ قَوْيَانِ فَيَهِمِلُانِكَ إِلَى غَرْفَةِ فِيهَا طَعَامٌ وَشَرَابٌ كَثِيرٌ وَيَخْبِرُانِكَ أَنْ تَتَرَقَّبَ لِلْجَمَاعَ قَرِيبًا. أَتَى الْجَمَاعُ، وَهَا هُمُ النَّاسُ الَّذِينَ سَقَطُوا عَلَى طَأْوِيلِهِمْ صَبَاحًا، جَالِسُونَ عَلَى طَأْوِلَةِ أُخْرَى وَكَانُوكُمْ بِإِنْتِظَارِكَ. يَبْدُأُ كَبِيرُهُمْ بِشَرْحِ الْعَمَلِيَّةِ لَكَ، يَخْبُرُوكُمْ أَنَّهُمْ قَدْ جَلَبُوا طَعَامًا وَمِيَاهًا لِذِيَّذَةِ لِيَسْدُّوا جُوعَ وَظَمَاءَ قَرَى الصَّحْرَاءِ. تَحِبُّ أَنْتَ الْأَهْدَافَ السَّامِيَّةَ فَتَقْرَرُ الْمَسَاعِدَةَ. وَمِنْ مَهَمَّاتِكِ تَوْصِيلُ الطَّعَامِ إِلَى أَبْعَدِ قَرْيَةٍ لَوْحِدَكَ، فَتَقُومُ أَنْتَ بِذَلِكَ وَتَأْخُذُ مَعَكَ الرَّحْلَةَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، كَادَ الظَّمَاءُ فِيهَا أَنْ يَتَخلَّصَ مِنْكَ عَدَةَ مَرَاتٍ، لَكِنَّكَ شَرِيفٌ وَلَمْ تَمْسِسْ الطَّعَامَ وَالْمِيَاهَ الْمَعْطَاةَ إِلَيْكَ. تَصِلُّ أَنْتَ إِلَى قَرْيَةِ خَالِيَّةٍ، فِي أَحَدِ بَيْوَتِهَا تَجِدُ مَلَحَظَةً مَكْتُوبَ عَلَيْهَا: «شَكْرًا لِآدَائِكِ الرَّائِعِ فِي تَصْوِيرِ فِيلِمِ رَحْلَةِ فِي الصَّحْرَاءِ..». تَقْرَرُ أَنْتَ أَنْ تَكْمِلَ رَحْلَتِكِ فِي الصَّحْرَاءِ، لَكِنَّكَ إِنْ عَدْتَ إِلَى الْبَيْتِ فَتَنْتَظِرُكَ صَحَراءً أَقْسَى، تَنْتَظِرُكَ قُلُوبًا وَأَنَاسًا صَحَراوِيَّةً.

القرن العادي والعشرين (٢٠٢٢)



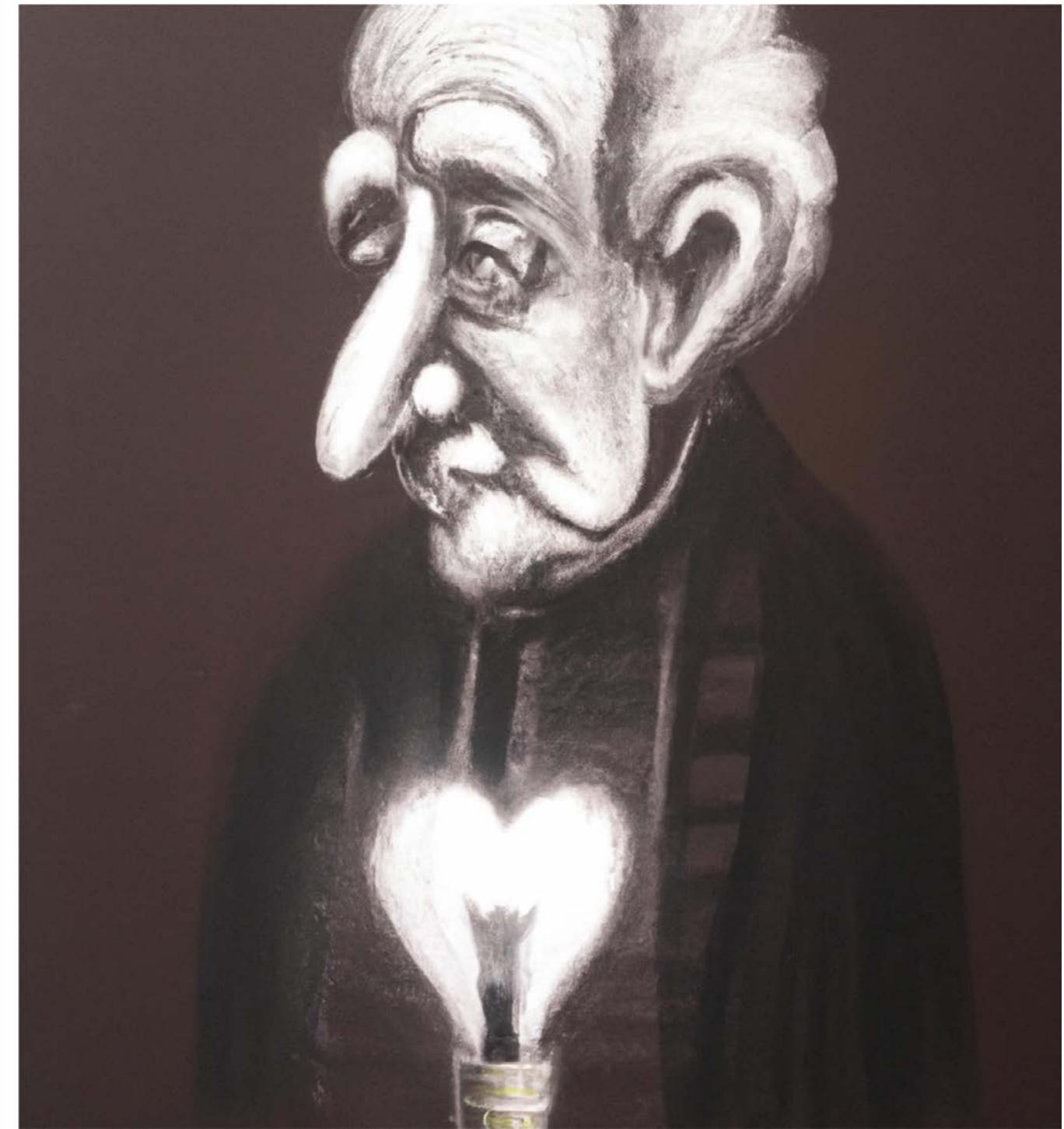
أطلس فتى متفانٍ في عمله، يعطي كلّ ما لديه لتحقيق أفضل النتائج في حياته اليومية وفي مكتبه. قد كان صديقنا أطلس مسؤولاً يمكن الإتّصال عليه، فهو يحمل الكثير من الأعباء على كاهله ويسعى إلى تخليص نفسه وذويه من هذه الأعباء السامة. هو رجلٌ كريمٌ، لا يرفض طلباً وإنْ أتعبته الحياة كفاية، فهو مؤمن أنَّ الناس سيردّون جميله إليه وقت الحاجة. وفي يوم طويل شابه الحياة، طلب مدير أطلس منه البقاء ٣ ساعات إضافية لإتمام العمل المتراكم على مكتب المدير، فالمدير قد تزوجت بنت عم بنت خالتة ولا يستطيع العمل اليوم، فحملها أطلس. بعد عمل شاقٌّ متعب، عاد أطلس إلى بيته، فاصطدم بجارته هيرا التي طالبته بالاعتناء بأولادها غداً فلديها سهرة لا يمكنها إحضار الأطفال إليها، ولا يمكن لقلب الأم المسكين تحملبقاء أطفالها وحدهم، فحملها أطلس. دخل أطلس بيته وقد أعياه التعب، ثم استلقى بجانب زوجته، وبينما كان يجهز نفسه للحديث معها عن صعوبات يومه وعن ما يخالجه من مشاعر تعيسة هذه الفترة، طلبت منه زوجته تحضير أموال الفواتير العديدة التي توجّب دفعها، فحملها أطلس وحمل. مرّت سنة وأطلس ما عاد أطلساً. وهنا أستشهد بكلماته: «شابت أطلس، الفتى الذي حمل الأرض على كتفيه في ميثولوجيا الإغريق، وهو أنا أحمل أرض إسمه على كتفي». الناس حولي لم يحملوني الأرض فقط، إنما حملوني نجومهم، كواكبهم، مجراتهم، وكونهم الثقيل كلّه، وكيفي ما عادا يستحملون. هم، حملتهم كلّهم بثقل أراضيهم وأكونهم، ولكنهم لم يتحملوا مني ريشة، ولا أعاتبهم، فأنا لم أقوى على حمل ريشة مني.»

مِنْطَفَأَةٌ (٢٠٢٢)

تفاجأً بتعطل الكهرباء عنده أيضًا، فالقصر مظلم ولا تبدو عليه ملامح حفلة. سأل هوغو حارس القصر عن ما إذا كانت الحفلة ستتم أم الغيت، فجاوبه بأن الحفلة بدأت ويمكنه الدخول. تفاجأ هوغو، كيف بالإمكان الإحتفال تحت الظلام؟ ودخل إلى القصر، ثم اصطدم بفتاة يافعة تبكي، فسألها عن حالها فجاوبته والدّموع تجري على خديها بأن حبيبها هجرها في هذا الحفل ورقص مع امرأة أخرى. نظر هوغو إلى الفتاة بعيدون أبوية، وأخبرها بأن الحياة مجموعة تجارب ووراء كلّ تجربة حزن وسعادة ودرس جديد. أحسّ هوغو بالعاطف عليها، وجلس يواسيها ويراضيها حتى انتهاء الحفل. وأخذ هوغو بيد الفتاة ليوصلها إلى سيارتها، لكنّها أبت الذهاب، وطرحت فكرة الذهاب إلى المقهى المجاور لاحتساء كوب ساخن والاستمتاع بأحاديث الحياة، ورضي هوغو. تحت قمر باريس، جلس هوغو في المقهى المظلم والفتاة وتدّثّت بهفة عن أمور الحياة، من كتب وأساطير وقصص، وتددّثت الفتاة لوحدها عن الحب والعائلة واستمع هوغو. وحان وقت الرحيل يا هوغو، ودعّته الفتاة حينها بقبلة، وفجأة لم يعد المقهى مظلماً لهذا الحد. أوصلها إلى بيتها، وتأمل ابنته الضائعة وقال الوداع. ثم وصل إلى بيته، فرأه مضيناً. فهم هوغو أنه كان يجب عليه تغيير مصباح نفسه وإيقاظه من خلال الأحساس الصادقة النورانية، قبل تغييره لمصابيح الشقة. وهكذا في اليوم الذي أضاء فيه هوغو نفسه، أضئت له الكنيسة شمعة لروحه، وقد حضر جنازته جميع المصابيح كما ابنته الضائعة.

في هذه الشقة الكئيبة قضى هو غوأيامه مكرساً وقته في الإنكباب على العمل. قد كان يعمل محاسباً هاماً في شركة كبيرة. هو غويندب حظه العثر، فهو متيقّن أنّ لعنةً قد لحقت به. قد اشتري هوغو عددًا لا يُحصى من المصابيح الكهربائية لتساعده ليلاً في إكمال عمله، ولكن كلّها معطلة لا تضيء. جلب إلى بيته العديد من الإختصاصيين واشتري مصابيحًا من كافة الأنواع والأحجام والأشكال، وكلّ ذلك لم يجدي نفعا. كان هوغو رجلًا وحيدا، حياته محدودة بين جدران منزله فقط، يتيم، ليس يتيم الأبوين فقط بل يتيم الحب والأصدقاء أيضًا، وقد كان بيته مأواه الوحيد دائم الظلمة. وقد أحبّ هوغو الشمس، تلك التي تعطي ضوءاً لا ينقطع ولا ينطفئ، ضوءاً لا يفرق بين سعيد وحزين...

ظلّ هوغو يجرب مصباح وكلّها لا تعمل، مما أغضب هوغو وأصابه باليأس، ودفعه للتركيز في حياته على حساباته فقط. مرّت الأعوام، والمصابيح ما زالت منطفأة، كما هوغو منطفئ. لم يخرج من بيته مرّة خلال هذه الأعوام، باتت الأرقام حياته فقط. أمّا غداً فذكرى تأسيس الشركة التي يعمل فيها هوغو، والجميع مدعاو لحفلة ليلية للإستمتاع والإحتفال بهذه الذّكرى السعيدة. هوغو العادي لم يكن ليذهب، لكن صاحبنا وعلى غير عادة قرر الذهاب لعلّه يستمتع بوقته. عند الوصول إلى قصر مالك الشركة الضخم،



مَقْبَرَةُ الْآمَالِ (٢٠٢٢)

طريقُ مظلومٍ شائكٌ، تُشابه أرصفته ضلوعاً تودّ افتراسك، تقف فيه عواميد كهرباء ميتة تحدّق بك، وأرضه مصدعة، تتخللها شقوق تطبع فيك شعوراً بأنّ زلزالاً قد عصف بهذه الأرض البارحة.

في نهاية الطريق، فقاعة سوداء، يزورها المنكسرة قلوبهم الذين تحطمـت آمالـهم، هي مزبلة الآمال والأحلام التي يغزوـها الصـدأ والـإنـكسـار. طوابـير بالـمـلـابـينـ، كلـ فـردـ يـحملـ كـيسـ آـمـالـهـ عـلـىـ ظـهـرـهـ المـقـوـسـ، يـنتـظـرـ دورـهـ ليـرمـيـ كـيسـهـ فيـ مـقـبـرـةـ الـآـمـالـ. ماـ منـ مـكـانـ فيـ العـالـمـ بـأـسـرـهـ يـحـمـلـ كـمـيـةـ الـيـأسـ تلكـ. فيـ آـخـرـ الطـابـورـ فـتـنـ منـكـسـرـ يـسـمـيـ «ـتـرـيـاقـ»ـ، قدـ تـلـاشـتـ آـمـالـهـ بـأـنـ يـصـبـ طـيـارـاـ بـعـدـ أـنـ رـفـضـتـهـ جـامـعـةـ أحـلـامـهـ. يـرـىـ أـمـامـهـ الأـكـيـاسـ الـمـرـيـضـةـ تـشـنـقـهـ حـبـالـ المسـتـسـلـمـينـ وـتـلـوـتـ بـرـمـادـيـتـهاـ هـوـاءـ الـمـتـنـشـقـينـ. اـنـتـظـرـ تـرـيـاقـ دـورـهـ أـيـامـ طـوـالـ وـالـطـابـورـ أـمـامـهـ يـتـقـلـصـ حـجـمـهـ شـيـئـاـ فـشـيـئـاـ، أـمـاـ مـنـ خـلـفـهـ فـقـدـ تـجـمـعـتـ مـلـابـينـ أـخـرىـ لـتـلـقـيـ بـأـمـالـهـ فـيـ حـفـرـةـ الـمـوـتـ تلكـ. أـخـيـراـ، أـتـىـ دـورـ تـرـيـاقـ لـيـلـقـيـ بـكـيسـهـ فـيـ مـسـتـنـقـعـ الـإـنـتـهـارـ، وـهـاـ قـدـ حـمـلـ كـيسـ آـمـالـهـ وـنـظـرـ إـلـيـهـ نـظـرـةـ أـخـيـرةـ قـبـلـ أـنـ يـلـقـيـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ. رـمـيـ الـكـيـسـ، وـفـيـ ثـانـيـةـ الـإـصـطـدـامـ فـتـحـ، فـظـهـرـ مـنـهـ ضـوءـ قـوـيـ كـانـهـ يـنـادـيـ تـرـيـاقـ. فـهـمـ تـرـيـاقـ الـقـصـةـ أـخـيـراـ، وـبـدـأـ بـفـتـحـ كـلـ أـكـيـاسـ الـمـزـبـلـةـ، فـإـنـفـجـرـتـ أـنـوـارـ الـآـمـالـ مـنـ الـأـكـيـاسـ السـوـدـاءـ مـتـغـلـبـةـ عـلـىـ ظـلـمـ الـظـلـامـ وـطـغـيـانـهـ، وـبـاتـتـ الـمـزـبـلـةـ مـكـانـاـ مـشـعـاـ يـتـجـمـعـ إـلـيـهـ النـاسـ لـيـلـتـقـطـوـاـ مـنـهـ آـثـارـ الـآـمـالـ بـيـنـماـ يـحـلـقـ تـرـيـاقـ بـطـائـرـتـهـ فـيـ سـمـاءـ الـذـهـبـيـةـ.



غَسِيلُ أَسْبُوعِهِ (٢٠٢٢)

التي غرستها الغسالة في عبدالرحمن، فبمجرد أن يتم غسل عقلك مرّة، تعلق في الدوامة دون أن تدرك شيئاً.

وقد ذهب عبدالرحمن كعادته كلّ أسبوعٍ لِاستعادة عقله من حبال الغسيل، وقد حاول كسابق عهده إعادة إدخال عقله داخل رأسه، لكنّه تفاجأً بعدم إمكانية إدخال عقله مكانه فقد كان رأسه ضيقاً، وكان أمراً يعيق دخول العقل من جديد لرأس صاحبه. وضع عبدالرحمن عقله في الكيس وذهب إلى منزله والرّعب يفرض سلطانه عليه.

نظر عبدالرحمن إلى المرأة فرأى في قاع رأسه المفتوح زهرة زهرية تنموا بطيئاً. فزع عبدالرحمن من هول ما رأه وقرر أن يخبيء الأمر عن السلطات خوفاً من أن يقتلوه. في الأسبوع التالي، عاش عبدالرحمن أحاسيساً لم يعشها سابقاً، عاش الحبّ والفضول، وذهب إلى السوق واختار ملابسه بنفسه، ليس كما أرادت له الحكومة أن يلبس، أكل ما يريد وقام بتجربة أمور جديدة، لم يعد مبرمجاً كما كان، بل بات حراً، أي أصبح إنساناً. كبرت الزهرة في رأسه كلّ مرّة أحسّ فيها عبدالرحمن بطعم الحرية أو عند تذوقه لأية احساس أو فكرة حرمتها منها الدولة، ومن ثم أثمرت هذه الزهرة عقلًا جديداً لم يتم تدريسه بأوساخ الحكومة ومساحيقها الظالمة ذات الروائح الملؤنة. حان موعد

بعد مئة سنة من الآن هذا هو مستقبلنا.

عبدالرحمن شابٌّ لطيفٌ ودود، تخيل أنّ شخصاً في عمره يعيش أجمل أيام حياته، لكنّ المجتمع والدولة التي يعيش عبدالرحمن تحت مظلّتها تقوم بأمرٍ مريب. في موطن عبدالرحمن مبانٍ كبيرة، كثيرة، ومتفرقة لتعطّي جميع مناطق دولته. كانت هذه المبانٍ عبارة عن غسالة ضخمة تستخدّمها الدولة للقيام بغسل أسبوعي لأدمغة المواطنين. ترى الرفوف المعدنية تحتوي على مساحيق الغسيل الخاصة، من مسدحوق «لا تفكّر» إلى سائل «الضلال الظريف»، وتنطلق إلى المدرجات الكهربائية التي تحمل عليها أدمغة المواطنين تحرّك صعوداً وهبوطاً، فمنها من يدخل الغسالة لتنظّفه من أفكارٍ تافهة كالحرىّة والحبّ والسلام والنضال والثورة على الظلم، ومنها من يخرج من الغسالة ليذهب ويُشنق على حبال الغسيل. في كلّ أسبوعٍ تُغسل جميع الأدمغة الخاصة بالمواطنين، وقد استمرّت هذه العادة الجميلة لقرون طويلة، وقد بدأت هذه الظاهرة تنتشر حتى بين حكومات الدول المجاورة بفضل الفاصلات الإعلانية للغسالة التي انتشرت على الأجهزة الإلكترونية مؤخراً. «اغسل دماغك واستريح، حرّية التعبير لا تقترح!»

أما عبدالرحمن فقد كان من رواد الغسالة الأسبوعيين، يذهب ليغسل دماغه مؤمناً بأنه يخدم وطنه العزيز وقواده العظام، وقد كانت هذه إحدى الأفكار



الغسل الأسبوعي، أمّا عبدالرحمن فلم يحضر إلى الغسالة، بل كان مختبئاً بعقله الجديد بعد أن فهم الألعوبة التي قامت بها الحكومة.

وفي أثناء ولادة عبدالرحمن كانت الحكومة قد وضعت جهاز تعقب ينذر الحكومة بحال عدم حضور الفرد للغسل، وهذا تماماً ما حصل مع عبدالرحمن التي باتت تلاحقه الحكومة. علم عبدالرحمن أنّ الهرب لن يجدي نفعاً فالعالم بأسره ضده وضدّ أحلامه. قام عبدالرحمن باستبدال عقله الجديد بالقديم ثم رمى دماغه الجديدة في نهر قريب. لقد قرّر الرضوخ الآن أمام الحكومة وأعطتها جسده، لكنّه كان يعلم أن عبدالرحمن الحقيقي ليس بجسمه وليس بدماغه المفسول، إنّما هو عقله النظيف التي تذوقت الحرّة ورقت معها على أراضي الخيال. لا زال جسد عبدالرحمن يملك دماغه المفسولة، ولا زال كلّ أسبوع يغسل دماغه كما تعود سابقاً، لكنّهم لم يعلموا أنّ العقل النظيف البريئة الصافية تنقل برائتها وتورثها لمن بعدها. فها هو عبدالرحمن جديد يولد من رحم العقل المنير، وهو هي حقيقةٌ من العقول النظيفة، التي كانت بذرتها الأساسية دماغ عبدالرحمن النظيف، تنموا وتنمو ترسم عالماً جديداً جياله حياة وسماؤه حرّة.

| بَثُورٌ (٢٠٦٦) |

القنوات التلفزيونية وقرأ الخبر على كل جرائد البلاد فارتعش خوفاً كلّما رأى أنّ القاتل غير معروف.

استلقى محمد على فراشه في الليلة ما بعد الدادثة وفكّر بمراحل حياته، منذ طفولته الحزينة التي خسر فيها والديه، إلى مراهقته التعيسة المختلطة ببثوره وحبّ الشباب، إلى شبابه وكهولته الذين لم يتلطخوا إلّا بدماء اليأس والهرش. قرر محمد الذهاب للمحكمة والإدلاء بشهادته في هذه القضية، وقد كان يعرف في أعماقه أنّ قوله للحقيقة في هذا اليوم إمّا سيسله وإمّا سيقصد منه حياته، فالبثور ما عادت تحتمل البقاء، تحرق جلده المورم فتصرخ شعيرات محمد طالبة النجاة، فتلبّي أصابع محمد النداء ويتحوّل جلده إلى ساحة حربٍ حامية الوطيس خسائرها تأكل انتصاراتها. «هي القاتلة، زوجته». وتهتزّ حينها المحكمة لسماع شهادة محمد كما تهتز يدامه ليسقط مغمّراً عليه. يستفيق محمد في غرفة العناية الفائقة، فيمدّ يده ليهرب بثوره فيرى أنها ليست هناك. تأتي الممرضة وتقول، عندما دخلت إلينا بثورك كانت تغطي كل شبر من جسdek هذا، حتى إذا أعلنت المحكمة جريمة المرأة وعقوبتها، نادت علينا بثورك وصاحت: «شكراً يا محمد لقولك الحقيقة، قد صدق محمد ونحن كنا الباطل». ثمّ أمطرت علينا بثورك ذهباً خالصاً قد وضعناه في الغرفة المجاورة لتأخذه معك حين تقوم. بكى محمد وشعر بأنه في روضة من رياض الجنة ورفع كفيه وشكر ربّه قائلاً: «الحمد لله على الحقيقة ما قال ربّي إلّا الحق».

هرش وهرش. محمد يهرب جلده المزّين بالبثور ليلاً نهاراً وبلا توقف. ما ترك محمد طبيب جلد أو دواء أو حتى ساحر لم يلجاً إليه ليحل مشكلته الجلدية، وكلّ محاولاتة بائت بالفشل. لم يعلم أحد سبب مرض محمد، فبثوره العالقة تلك لم تكن بسبب فيروس أو بكتيريا أو أيّة مرض تتسبّب به الميكروبات بل كانت البثور تصرّف على هواها، تكبر فجأةً ودون سابق إنذار. بسبب هوس محمد ببثوره ومضايقتهم الدائمة له، حاول محمد فهم طبيعة مرضه وطبيعة هذه البثور، ووضع العديد من الأسباب المحتملة لهذه المشكلة، ثم قام بعدّة تجارب ليرى ما هي جذور مرضه. بعد عدّة سنوات من التجربة، توصل محمد إلى استنتاجٍ غريبٍ للغاية وغير مألوف، سبب تلك البثور هو الحقيقة، أو قول محمد للحقيقة. كلّما قال محمد من الصدق شيئاً كُبرت بثوره وتورّمت إلى أن وصلت الآن إلى حجم الفرأولة. قرر محمد بعد هذا العمر الطويل من المعاناة التوقف عن قول الحقيقة لعلّ بثوره تخفّ وتختفي فيتوقف ألمها الخبيث. في ليلة من الليالي المظلمة وبينما محمد يتنزّه قرب زاروبة من الزواريب الضيّقة، يسترجع ذكريات الحياة، يرى أمامه رجلاً وإمراة ويتخيّل وراءه الهائل، فيستمع إلى الزوجين يتشاركان، حتى تقوم المرأة بخنق الرجل أمام أعين محمد وتنهي على أنفاسه. يهرب محمد ويركض أسرع ما عندـه، ويصل إلى بيته ليختبأ من مرارة الحقيقة، ولكنّ مرارة الذنب أيضاً لا تترك الإنسان. سمع محمد في اليوم التالي عن قضية الرجل المقتول على جميع

TRUIT

THE
TRUTH



قصّة نظارة (٨٩١)

رأّت النّظارة أَنَّ عَمَلَ الرَّئِيسِ يَخَالِطُهُ ظُلْمٌ عَظِيمٌ لَا تُسْتَطِعُ إِنْ تَرْتَاحَ مَعَهُ، وَلَكِنَّهَا أَخِيرًا وَجَدَتْ نَفْسَهَا عِنْدَمَا أَصْبَحَتْ نَظَارَةً شِيخُ جَلِيلٍ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ أَوْ رَاهِبًا مُحْتَرِمًا يَقْرَأُ إِنْجِيلًا، فَاحْسَاسُهَا بِإِيمَانِهِمَا أُرْسِلَ إِلَى قُلُوبِهِمَا الْأَمَانَ التَّامَ وَالْإِكْتِفَاءِ. ثُمَّ هَبَطَ إِلَيْهَا مَلْكُ الْسَّمَاوَاتِ...



وَفِي مَحْلِ أَبُو عَبْدُولِبِيعِ النَّظَارَاتِ قَبِعَتْ نَظَارَةٌ جَدِيدَةٌ تَحْلِلُ بِجُودَةِ عَالِيَّةٍ وَسُعْرٍ مُقْبُولٍ عَلَى رُفَّٰ مِنْ رُفُوفِ مَكْتَبَةٍ كَبِيرَةٍ. نَظَارَتِنَا هَذِهِ لَا تَعْرِفُ سَوْيَ رُفُوفِ مَحْلِ أَبُو عَبْدُولِبِيعِ، وَهِيَ إِنْ كَانَ لَهَا الْقَرَارُ فَلَنْ تَخْتَارَ لَنَفْسِهَا أَنْ تَكُونَ نَظَارَةً. أَتَيَ مَلْكُ الْسَّمَاوَاتِ إِلَيْهَا، وَأَعْطَاهَا الْقَدْرَةَ عَلَى التَّحْرِكِ وَالْقِيَامِ بِالْأَمْورِ. تَرَكَتْ نَظَارَتِنَا لِيَلَّا مَحْلَ أَبُو عَبْدُولِبِيعِ لَمْ يَرَهُ، وَهُوَ لِتَجْرِيبِ الْعَمَلِ فِي قَسْمِ الْمَهَاسِبَةِ فِي بَنَلِي قَرِيبٍ. وَبَعْدَ أَسْبَابِيَّ أَحْسَسَتِ النَّظَارَةُ أَنَّهُمْ سَنُونَ طَوَالَ، تَرَكَتِ النَّظَارَةُ عَمَلَهَا فِي قَسْمِ الْمَهَاسِبَةِ وَذَهَبَتْ لِتَجْرِيبِ التَّعْلِيمِ. أَيْضًا، تَرَكَتِ النَّظَارَةُ عَمَلَهَا فِي قَسْمِ التَّعْلِيمِ بَعْدَ إِحْسَاسِهَا بِوجُعٍ فِي الرَّأْسِ (رَغْمَ عَدَمِ امْتِلَاكِهَا لِأَيِّ رَأْسٍ) عِنْدَ تَدْرِيسِهَا لِصَفَّ مِنَ الْمَشَاغِبِينَ. وَجَرِبَتِ نَظَارَتِنَا مُخْتَلِفَ الْأَعْمَالِ فَمَا وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي أَيِّ فِيهِمْ فَرَجَعَتْ إِنْذَاكَ إِلَى مَحْلِ أَبُو عَبْدُولِلَنَّظَارَاتِ. فَهَمِتَتِ النَّظَارَةُ بَعْدَ هَذِهِ التَّجْرِيَّةِ الطَّوِيلَةِ أَنَّهُ لَا يَصْلَحُ لَهَا أَنْ تَكُونَ سَوْيَ نَظَارَةٍ، لِكُنَّهَا عَزَّمَتْ عَلَى أَنْ تَكُونَ نَظَارَةً أَكْثَرِ الرِّجَالِ قَوَّةً فِي الْعَالَمِ. أَتَيَ مَلْكُ الْسَّمَاوَاتِ إِلَيْهَا مِنَ السَّمَاوَاتِ، وَأَعْطَاهَا قَدْرَةَ اخْتِيَارِ مَنْ يَلْبِسُهَا. اخْتَارَتِ نَظَارَتِنَا أَنْ تَكُونَ نَظَارَةً رَئِيسِ الدُّولَةِ اكْسَ الذِّي كَانَ يَلْبِسُهَا فِي الْمَؤْتَمِراتِ الْمَعْرُوضَةِ فِي جَمِيعِ أَنْحَاءِ الْعَالَمِ عَلَى جَمِيعِ الْقَنُوَاتِ الإِخْبَارِيَّةِ، فَأَحْسَسَتِ النَّظَارَةُ بَادِئَ الْأَمْرِ بِالسَّعَادَةِ فَقَدْ أَصْبَحَتْ نَظَارَةً أَقْوَى الرِّجَالِ وَشَهَرَتْهَا تَحْلِلُ فِي السَّمَاوَاتِ، لِكُنَّ الرَّئِيسَ كَانَ يَسْتَخْدِمُ نَظَارَتِهِ فِي قِرَاءَةِ الْعَقُودِ وَالْمَعَالِمِ الَّتِي بِوَاسِطَتِهَا سَتَنْفَذُ خَطَطُ قَتْلٍ وَتَدْمِيرِ دُولِ الْأَبْرِيَاءِ وَالْمُسْتَضْعِفِينَ.

سِجْنٌ (٢٠٦١)

في مسلح للخraf ولد أنفٌ صغير رحبّت به رائحة البراز والدّماء. في كلّ يومٍ من حياة هذا الأنف، يأتي رجلان إلى المسلح برفقة مجموعة من الخراف، تُذبح الخraf وتعلق على الأسياخ بينما تسرب الدماء على الأرض لتزيّنها وتحرمها من شحوبتها البيضاء. الأنف كلّ يوم يشمّ من الرجل الأول رائحة عطرة تندفق من خده، لعلّها رائحة قبلة زوجته التي توعدّه كلّ يوم، أمّا الرجل الثاني فتتدفق من فمه رائحة النعناع التي تدلّ على معجون أسنانه. أما الخraf فصوفها الكثيف ممتزج ببرازها وبنفسة من هواء الطبيعة الغريب، والدماء فحديدية الرائحة تفزع الأنف. كلّ يوم نفس تلك الروائح تخترق أنفنا فيحفظها ويحفظها حتى أصبحت كلّ ذاكرته.

بعد عشرين سنة أُقفل المسلح، فقد مات صاحباه ولم يعد هناك من يتولى أمور المصلحة من بعديهما. فُتحت مكان المسلح صالة أعراس، وأنفنا ما زال جالساً في زاويته المعتادة. في كلّ عرسٍ جديد، أناسٌ جدد، وروائح جديدة لم يتنشقها الأنف من قبل، مأكولات، عطورات، رائحة الفساتين والثياب الجديدة، رائحة الكراسي الخشبية ورائحة الزجاج، رائحة القهوة والشاي والمشروبات، روائح لا حصر لها، لكنّ أنفنا هذا لا يعرف سوى رائحة الخraf، لا يعرف سوى رائحة عطر الزوجة التي لطالما داعبت أنفه في زاوية المسلح المدهونة بالدماء. تعود على تلك الروائح ومهمما تنقل في الكون الفسيح، هذا التعود سيكتّل حريّته ويوهّمه ببقاء العادة وعدم التغيير، إلى أن يقرر.



هُوَيْشَ (٢٠٦٦)



مأمون طفل في العاشرة من عمره، يعيش وجده في بيت ريفي قديم وذلك منذ وفاة والديه في حادثة سير مؤلمة هزت كيان مأمون الصغير. كان مأمون يذهب كل أسبوع لاستكشاف الوادي القريب من منزله، وقد كان يحضر معه مذكرة ليكتب عليها بعضاً من أفكاره. «يا لروعه السّماء هذه وزرقتها المرية للقلب والعيون، ما أجمل حظ هذا الطائر يحلق بأجنحته في السّماء ليزيّنها بالحرى والسلام، عندما أكبر حتماً سأصبح طياراً.» «إن الكبار قدرون، يفعلون كل ما يمكن فعله من أجل إرضاء مصلحتهم الخاصة، لقد سمعت أن رئيس القرية باع الحطب الذي جمعه أفراد القرية لتمويل مشروع جديد يضخ إليه المال الكثير.»

«إنني لا أستطيع الاستمتاع في هذا الوادي إلا برفقة عصير البرتقال الخاص بي، لا أدرى كيف تحتمل جدتي شرب عصير التفاح.»

«لا تهمني الأموال ما دام بإمكانني إسعاد عائلتي.» كل هذه الجمل يقرأها مأمون من مذكرة اليوم بعد ثلاثة عاماً وقد أصبح موظفاً لدى ابن رئيس القرية وتخلّى عن حلمه في التحقيق، وكل عمله مبني على السرقة وزيادة الأموال، وقد تركته امرأته مع ابنتهما لعلمها بالأمر،وها هو الآن يسكب لنفسه عصير التفاح الممزوج بالخمر. ما أجمل الطفولة الحالمة!

٣ | أَمْنِيَاتٍ (٢٠٢٢)

أصبح الفتى صاحب المال الوفير، صاحب القصر الكبير، لابساً للذهب والحرير، ناسياً المستنقع الحقير، أغنى أغنياء الأرض. ولكنّه أحسّ بضيق شديد، كلّ هذا المال، أشتري به ذهباً وفيروزاً وخمراً، لكنّه لا محالّة يشتري ما يريح هذا الضيق. كلّ هذا المال يشتري أوجهاً لبهجة زائفة، يشتري من الناس زيفاً، ومن الفارس سيفاً، ومن المرأة حضناً، ومن المالك أرضاً، ومن الباني قصراً، أي يشتري سراباً ونفاقاً ووهماً.

الفتى: أيّها الجنّي!

الجنّي: نعم سيّدي!

الفتى: أتعلّم أمنيتي الأخيرة؟

الجنّي: كلاً سيّدي مُرّنني.

الفتى: لطالما قرأت في القصص التي تشبه قصتي، رجالاً تتمنّى أن تكون الأقوى والأذكي والأغنى والأسرع، لكنّني ما سمعت يوماً منهم، «إني أريد أن أكون من الرجال أسعدهم!»

فقير، هزيل الجسم، قليل الحيلة. هو فتى طبيعي يعيش في كوخٍ من القش بقرب المستنقع الكريه، لكنّه بعد تلك الليلة لم يعد طبيعياً. ما هي تلك الليلة؟ هي الليلة التي زاره فيها جنّي غريب ضخم لطيف. الفتى: لماذا أتيت إلّيّ أيّها الجنّي؟

الجنّي: لأنّك رغم فقرك لم تنسّ أن تطعم الحمام الزائر لأراضي القرية، وقد شاركتهم من خبزك التّفيس قطعاً كثيرة، فسمعوهم يتكلّمون عنك وعن كرمك فجئت إليك أردّ الجميل. لك أيّها البشري ثلث أمنيات، استغلّها جيداً. الفتى: أريد أن أكون من الرجال أقواهم، لا يضارعني في القوّة أحد، مفتول العضلات عريض المنكبين، أحطم الصخر بيديّ وأحرّك تلك الجبال الشامخة. تلك أمنيتي الأولى.

الجنّي: ولّك ذلك.

بات الفتى أقوى الرجال، لكنّه لم يكتفي بذلك، فقد أحسّ أنّ هنالك أمراً ناقضاً، فلم يزد إحترام الناس إليه، بل أنّ أغلبهم يخافونه ويهرّبون منه، ولم تنفعه تلك القوّة في شيء، لقد أصبح يستطيع حمل الصخور الكبيرة، ولكن كيف ينفعه ذلك في حمل الأعباء المستعصية، أعباء الحياة التي لا تقدر عليها أية قوّة جسدية.

الفتى: أيّها الجنّي إني أريد أن أكون من الرجال أغناهم! الجنّي: ولّك ذلك.



مَا زَانَ تَرَى ؟ (٢٠٢٢)



«أنت مرفوض!!! ارجع إلى بيتك ولا تعد هنا مرة أخرى.» بهذه الكلمات خرج محمود من مكان عمله حاملاً ورائه ذيول الخيبة. تعقدت أحواله في عمله بعد خلافه مع ابن أخت المدير وعدم توافقهما في شأن العمل. في ذلك اليوم عند الساعة الثانية فجراً، أخذ محمود يمشي تائحاً في طرقات المدينة، وهو يغوص في متاهات عقله ونفسه. نظر محمود إلى حافة الطريق، فوجد عليها طوابيرًا مخيفةً من المصابيح، عالية تبدو متعالية، تنظر باشمئازٍ إليه، تحدّق في كيانه بنظرة تكبير واستخفاف، فارتعد الخوف في قلبه واستد شعوره باليأس، ثم سمع أصوات المصابيح الضاحكة التي تضحك على حالة التعيسة، فانطلق راكضاً إلى حيث تأخذه قدماته، إلى المجهول، واضعاً اصبعيه في أذنيه، مختنقًا بفوضى أفكاره.

بعد سنةٍ من هذا اليوم، محمود رئيس شركته الخاصة، يبيع فيها المصابيح، ويحقق منها أرباحاً جيدة يستطيع من خلالها العيش بكرامة. عند الثانية فجراً، محمود موجود في ذلك الشارع نفسه، طوابير المصابيح تلك رآها تندى له احتراماً، انحناءة تعبّر عن تقديرها، تنير دربه وتضيئه لترشدّه وتساعده في اتخاذ وجهته القادمة. أصوات تصفيق تعلو المكان ومحمود يمشي مشية الملوك، صافي الذهن واثق الخطى، لا يعلم أين تأخذه قدماته لكنه جاهز لمجابهة المجهول هذه المرة. كيف والله أعلم سيرى المصابيح في المرة القادمة؟

أَقْطَرَاتُ الْمَطَرِ (٢٠٢٢)



على كل غيمات السماء المتناثرة، ممالك كبيرة واسعة، تعيش فيها قطرات المطر، متراجدة في السماء، مستلقيّة على قطن الغيوم الثلجيّ، مستمتعة بالنسيم. ولكن يظهر بين الفترة والأخرى فساد في المملكة يتمثّل إماً بظلم الحاكم أو الوزراء أو تفشي الفساد في المجتمع المطريّ، فهي اذا اسودت الغيوم التي يقبعن عليها إنما بسبب كمية الفساد القابعة في المملكة، فترى آلافاً من سكان قطرات المطر يقفزن من الغيمة إلى الأرض، في محاولة إيمانية مزيّنة بالمجهول لعله تنصفهم وتخلّصهم من ظلم الملوك. وترى قطرات المطر يرتجفن خيفةً من فكرة القفز، فكيف ينجين من هذا الارتفاع؟ وإلى أين هن ذاهباتٍ أصلًا؟ فتمتزج في قلوبهن مشاعر الخوف وتفجر وтраهن قد بتن محatarات+، أنشارك في فساد مملكتنا؟ إذا قمنا بذلك نجونا من هذه القفزة وعشنا في بيوتنا بسلام! فيرسل الله إلى قلوبهن طمأنينة ويزيّن أرواحهن بالأمل، فيقفزن، وترى منهن من يسقط على رؤوس المتابين ليزيّن رقصاتهم الملتهبة ويرسل إليهم بعضاً من حلاوة النسيم ونقاؤة المطر، ومنهن من يعود إلى منزله الأول، إلى البحر، ليجدن فيه منزل الطفولة وذكريات ما مضى قبل معانقة السماء والارتفاع إلى الغيوم، فترى تجددًا فيهن حالما يتذالطن ومياه البحر ليكونن موجات متلاطمة حيناً وهادئة حيناً آخر. ومنهن من يلتقي بالأرض فيزهر ذلك الأمل الرباني ليتحول إلى خير وبركة مع تراب الأرض فتكبر الثمار وتكبر الأزهار الملؤنة ذات الروائح العبقة رمزاً لعلاقة الحب الأبدى بين الأرض و قطرات المطر. وهذا وبفضل الله تنجو قطرات المطر من ظلم الفاسدين ومن ظلم المجهول وحده سكينة.

رمز الرجولة (٢٠٢٩)

طاحنة ولا بسحر وشعوذة، ليست أعشاباً وخرافات وأساطير، ليست بعطل ولا بقوة جسدية، إنما الرجولة قيم وأخلاق ومواقف حكيمة ولطف ورحمة، الرجولة لا تنبت على الوجه، إنما تنبت في الأرواح وأثرها باق هناك، فإن رغبت الرجولة ابحث عنها في قلب الفتى لا بمظهره.



عبدالجبار رجل عشرينيّ، طويل القامة مفتول العضلات، كلّ خطاله تدلّ على رجولة فذّة وقوّة كبيرة يضارع بها أسود الغاب، إلا وجهه الناعم الفالبي من أية شعرة قد تزيّنه والذي شابه به الأطفال الرضع. أزوج هذا الموضوع عبدالجبار، فبالنسبة إليه نمو الشارب يعدّ اكتمالاً لهيبة رجولته ورمزاً قاطعاً لقدرته وقوّته. أبن عبدالجبار هذه الحال، فراح يبحث عن طريقة تخوّل شاربه أن ينمو ويستقرّ على وجهه لعلّه يتخلّص من عقدته. جاب عبدالجبار بطننا الأرض كاملةً، فذهب إلى الهند أولًا لعلّهم بسدرهم وطقوسهم الغريبة يخلّقون له شاربًا ولكنّهم فشلوا، فذهب إلى الصين حيث الأعشاب العجيبة ذات القوى السرية لعلّه بها يربّي شاربًا، فجرّب كلّ أصناف الأعشاب وألوانها ولكن كلّ محاولاته بائت بالفشل. وذهب إلى أطباء الشام وإلى أراضي الأوروبيين، كما لم ينسى أفريقيا وقبائلها بالإضافة إلى بعض الجزر المجهولة، وجرب كلّ شيء من عمليات جراحية وسحر وشعوذة وحروب وأساطير وخرافات ولم تنموفي وجهه شعرة واحدة. أصبح عبد الجبار في الأربعين من عمره، مقيّداً بمشكلته تلك، ممنوعاً وممتنعاً عن التمتع بأيّامه وأوقاته وساعاته، فالحياة له من دون رمز الرجولة بلا قيمة وبلا فائدة كالبئر بلا ماء، وقد ظلّ ممزق الروح معدوم الفرحة، محاولاً باستمرار ايجاد حلّ لمشكلته. ووصلنا إلى الخامسة والخمسين وقد شاب شعر صاحبنا، ولم نجد للشارب على وجهه أثراً، ها هو ذا عبدالجبار يجلس حزينًا على أرصفة الطريق مقيّداً بمصيّبته التي لاحقته طوال حياته، وإن فجأة رأى امرأةً عجوز لم تستطع عبور الشارع وحدتها فهبةً إلى مساعدتها، فشكرته ورفعت يديها للسماء داعيّةً له. تأمّل عبد الجبار الموقف فبكى، ودعا ربّه أن يجعله من بعثة الخير في المجتمع، فلقد فهم عبد الجبار الحكاية، إنّ الرجولة ليست بشارب على وجه الفتى، ليست بحرب

أَعْمَالُ خَيْرِيَّةِ (٢٠٢٣)

في مسارح الزَّمَان البِبِغاوِيِّ، على أَرَاضٍ بَعِيدَةٍ قَرِيبَةٍ، أَسْوَاقٌ تِجَارِيَّةٌ تَسْمَى
بِأَسْوَاقِ الزَّمَنِ، تُبَاعُ فِيهَا حَوَائِجُ النَّاسِ مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ وَنَتَاجِ الصَّنَاعَةِ
وَالتِّكْنُولُوْجِيَّا الْهَدِيَّةِ وَالْأَدَوَاتِ الْبَدَائِيَّةِ، وَيَتَخَلَّ هَذِهِ الْأَسْوَاقُ طَابُورًا طَوِيلًا،
فِي تِسَاءُلِ الْمَارِّوْنَ عَمَّا يَحْدُثُ هُنَاكَ، فَتَأْتِي الإِجَابَةُ مِنْ رَجُلٍ امْتَهَنَ التَّمَثِيلَ
آلَفَ السَّنِينِ: «يَا قَوْمًا! يَا رَوَادَ الْمَاضِيِّ وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبِلِ، إِنِّي أَنَاشِدُكُمْ،
إِنِّي أَنَاشِدُكُمْ بِأَنْ تَبِيعُوا لِي ضَمَائِرَكُمْ! فَمَوْلَاكُمْ، وَلِيٌّ أَمْرَكُمْ، قَدْ أَصَابَهُ
مَرْضٌ خَطِيرٌ فَالْتَّزَمَ الْفَرَاشَ، وَضَعُفَ عَنْ تَأْدِيَةِ مَسْؤُلِيَّاتِهِ وَمُنْعَنَ منَ النَّظَرِ
فِي شَؤُونَكُمْ وَإِصْلَاحَهَا، فَمَنْ بَعْدَهُ يَغْسِلُ أَدْمَغَتِكُمْ؟ وَلَمَنْ مِنْ بَعْدِهِ
تُسْتَعْبِدُونَ؟ مَنْ يَقِيدُكُمْ بِسَلَسَلَةِ الشَّائِكَةِ الْمَزِينَةِ بِعَطْفِهِ وَحُكْمِتِهِ؟ يَا قَوْمًا!
إِنِّي أَنَاشِدُكُمْ، إِنِّي أَنَاشِدُكُمْ بِأَنْ تَبِيعُوا لِي ضَمَائِرَكُمْ! فَالْأَطْبَاءُ الَّذِينَ فَدَحْصَوْا
الْزَعِيمَ، قَالُوا، قَالُوا بِأَنْ لَا دَوَاءَ لَهُ إِلَّا بِضَمَائِرِ الشَّعُوبِ، وَلَا عَلَاجٌ لَهُ، وَلَا مَرْدٌ
لَهُ مِنَ الرَّدِّيِّ إِلَّا بِأَفْئِدَةِ الرَّعِيَّةِ، فَبَيْعُوا ضَمَائِرَكُمْ، تَلَكَ أَعْمَالُ خَيْرِيَّةِ!»
ثُمَّ أَجْهَشَ بِالْبَكَاءِ، وَبَاعَ النَّاسَ ضَمَائِرَهُمْ.



| تَخْلِيَّهُ (٢٠٢٢)

هذى كلامات بالحب أبعثها

تنساب مني إذ كنت أخفيها

هذى مشاعر الشّوق أرسلها

تُدميني كلما فكرت فيها.

فأنا أصارع الذّكر لاهجرها

إنما ألم الصّراع يحيها

فلا هجر لمن في القلب مسكنها

تُخاف عليها ضلوعي فتخفيها

تلك السّعادة التي رؤياك تجلبها

تضمّ وجاعي فتشفيها.



رسالة تائب (٢٠٢٣)

يا رب العزة والدنى

يا خالقى

أتوب إليك أنا

يا رازقى

وأعود بك من الهوى

ومن ثقله على خافقى.

من يهجرك ربى فقير

ومن كنت في قلبه اغتنى،

من يهجرك ربى ضعيف

ومن تكون معه بك احتمى،

ومالك الدنيا دونك أحمق

والمؤمن بك الخير جنى.



لَدْ فَرَامِلْ: (٨٩٣)

«عربو» أيضًا، وبرادته الغارقة في بحار العمل وعجلة أمواج الحياة. في منزله، في عاصمة العالم أجمع، حيث كلّ العيون ساهرة، وكلّ الأصوات حاضرة، شعر «عربو» بالوحدة القاتلة، واستلقى على فراشه الحديث وكأنّه بيت مسامير، متمسّكاً بخلاف تلك الصورة، ناثراً دموعه على تفاصيلها، مسترجعاً مسحوق الأحاسيس الذي راوده حينها يوم الوداع، في يوم الوداع...

استيقظ «عربو» على فراشِ من القشّ، فهبّ فزعاً مستغرباً، هل يا ترى هذه أوهام من صدمة الوفاة؟ خرج «عربو» من الغرفة ليجد عائلةً ريفيةً بسيطةً تتناول فولًا على مائدة الطّعام، فدعوه ليشاركهم، وقد بدت على ملامح وجوههم مظاهر الكرم والمودة متناقضةً تماماً مع ملامح «عربو» الدالّة على الإستغراب والتقوّع. دوى صوت الجوع من بطن «عربو» فاحمرّ خجلًا وقبل أكل الطّعام لوحده في الغرفة...

ظلّ «عربو» حبيس غرفته أيامًا عدّة، يشاهد من نافذته الضيقة وسع الحقل الذي يعمل فيه الألب بجدّ من أجل تأمين قوت عائلته. لقد كانت العائلة تعمل في زرع البطاطا، فيقوم الألب بأعمال الحرش مع مساعدة ابنه الصغير الراغب بثبات نفسه وقوته أمام والديه، بينما تقوم الأم وبناتها بتعبيئة مياه الريّ من بئر القرية، ويستعدون لتحضير طعام اليوم. كانت البنت لكبيرة تحضر طعام «عربو» إلى غرفته، فيرى «عربو» الصحن اليومي ينزلق خجلًا من وراء

في شوارع نيويورك المكتظة بالبشر، المزينة بالأضواء الفاقعة وأعمدة التسويق المتنافرة ما بين «بيبسي» و«كوكا كولا»، رجلٌ يتمايل في ساحة الطريق، أثقلت عليه حقيبة عمله فاختلَّ توازنه، فقرر أن يستمع لإرشادات الحقيقة وأن لا يقاوم حسّها في تحديد الإتجاهات.

بعد إيجاد الحقيقة لطريق الشقة، دخل «عربو»، كما كان يناديه أصدقاء الطفولة، منهًا إلى منزله، ملتقطًا أنفاسه المتناثرة، مستعجلًا يريد إكمال عمله المتراكّم كصحون الجلي في المطبخ. جهز «عربو» مكتبه لاستقبال جبال الملفات التي أوكلها إليه مديره ولكن فجأةً، وأثناء استعداد «عربو» لبداية عمله، رنّ هاتفه مظهراً على شاشته رقم أمّه، فتجاهل الإتصال، وأكمل العمل، بينما قبعت على حائط مكتبه صورة في المطار له ولعائلته، قبيل توديعه الأخير، تظهر فيها أمّه باكيّةً لفراق ابنتها. قد كان «عربو» مغترّاً، حلّق إلى هذه الأرضي سعيًا وراء الثراء الفاحش والاستقرار الماديّ لعائلته، ولكنه الآن، وبعد كلّ هذا العمل الشّاق، وبعد ركوبه لتيّار العجلة قد نسي الهدف الذي أتى به إلى هنا، وبات كالآللة الخاوية، تتقدّم التعليمات ولكنّها تعمّل أمام إشارات القلوب. مرّ أسبوع آخر، يوحى لـ«عربو» بأنّه كغيره من الأسباع الفائتة الميتة، فإنّ ملتصق بواجبات العمل، ولكن في نهاية ذلك الأسبوع، أتى إتصال آخر لـ«عربو» مبلغًا إياه بوفاة والدته. لم تكن نهاية الأسبوع تلك نهاية للأسبوع فقط، إنّما كانت نهاية لسبات



باب الغرفة، قبل أن يغلق بابه ليتناول الطعام وحيداً. شعر «عربو» بنوع من الغيرة من هذا الجو العائلي المتماسك، كيف لا وقد حُرم من حنان أمه، ليس عند وفاتها، بل عند غريته...

العرق يتسبّب بشدّة من على جبين الألب أثناء الحمرث، فالشمس حارقة، والعمل شاق، لا سيّما وأنّ الألب مفتقر لمن يسانده فابنه صغير لا يقوى على هذه الأعمال. يحمل «عربو» المعول ويقف في الحقل، مجاهاً الشمس، فيبتسم الألب ويعمل الإثنان معاً.

(عند الغروب)

الألب: «هيا بنا يا «عربو»، لقد آن وقت اللجوء إلى البيت لنتناول طعام العشاء مع العائلة.»

عربو: «ولكن ما زال هناك مساحة من الحقل لنحرثها، فلنبقى ساعة أخرى لننتهي من عملنا بسرعة، ونكون أصحاب أول محصول بطاطس في السوق.»

الألب: «يا ولدي، إنّ زرع البطاطس يستوجب الثاني، هنا، الصبر كالماء، لأنّه تنمو دونه المحاصيل ولا تحيا، فإنّ ظلمنا البذور بإستعجالنا وتسرّعنا حرمناها الحياة والجودة، فلا تستعجل الأرض في صنعتها حتّى لا تبصق لك الفاسد من جوفها، وإنّما قلبك بالحبّ وتنشق هذا النسيم ولا تحرم نفسك منه، فإنّ الأرض لترى قلوبنا، فتخرج لنا من قلبهما كأشكال ما ترى.»

فذهبوا إلى مائدة الطعام سوياً، وأكلوا الفول، ونظر «عربو» إلى الجالسين على المائدة وابتسم، ثمّ وجد في آخر صحنه تلك الصورة، تبتسم فيها الألب لعوده ابنها الحبيب.

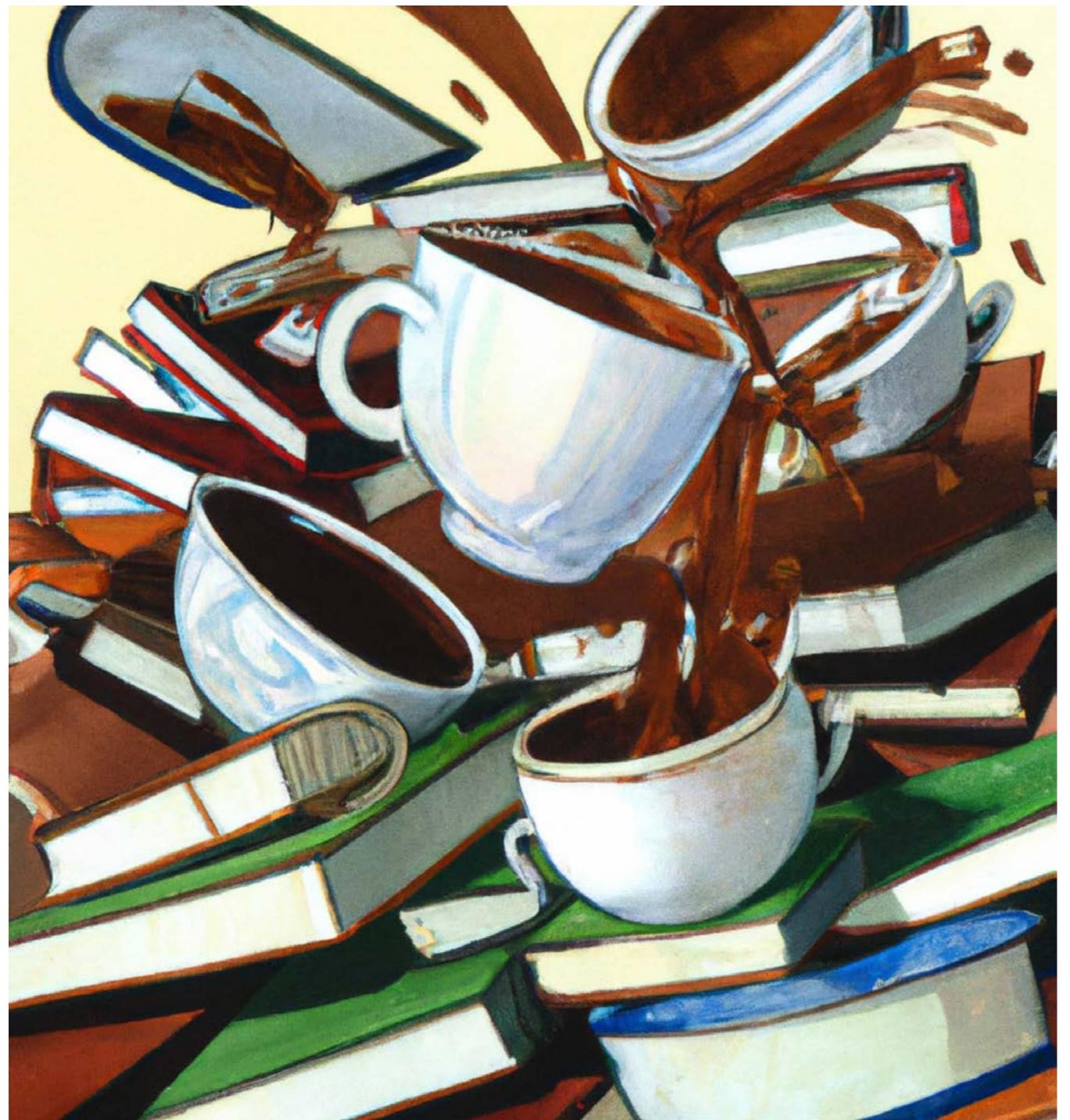
شَفَاءُ الشّعْرَاءِ (٢٠١٩)

وضع شاعرنا يده على قلبه الجريح،
وقد أتاه الأقربون بالرّفـشـ،
وأعدـوا له الضـريحـ،
حتـى نظر إلـى هـنـاكـ،
إلى الكـونـ الواسـعـ الفـسيـحـ،
فضـمـمتـ الجـروحـ بـعـضـهـاـ،
وتـمـتـ معـجـةـ المـسـيحـ،
ما عـادـ شـاعـرـناـ جـريـطاـ،
قد كـانـتـ نـجـومـ اللـيـلـ دـوـاهـ،
ها قد بدـأـ يـوـمـاـ جـديـداـ،
وقـلـمـ الزـمـنـ فـيـ يـدـاهـ،
ليـكـتبـ شـعـراـ جـميـلاـ،
عنـ الكـونـ وـثـنـيـاهـ.



ملولة (٢٠١٩)

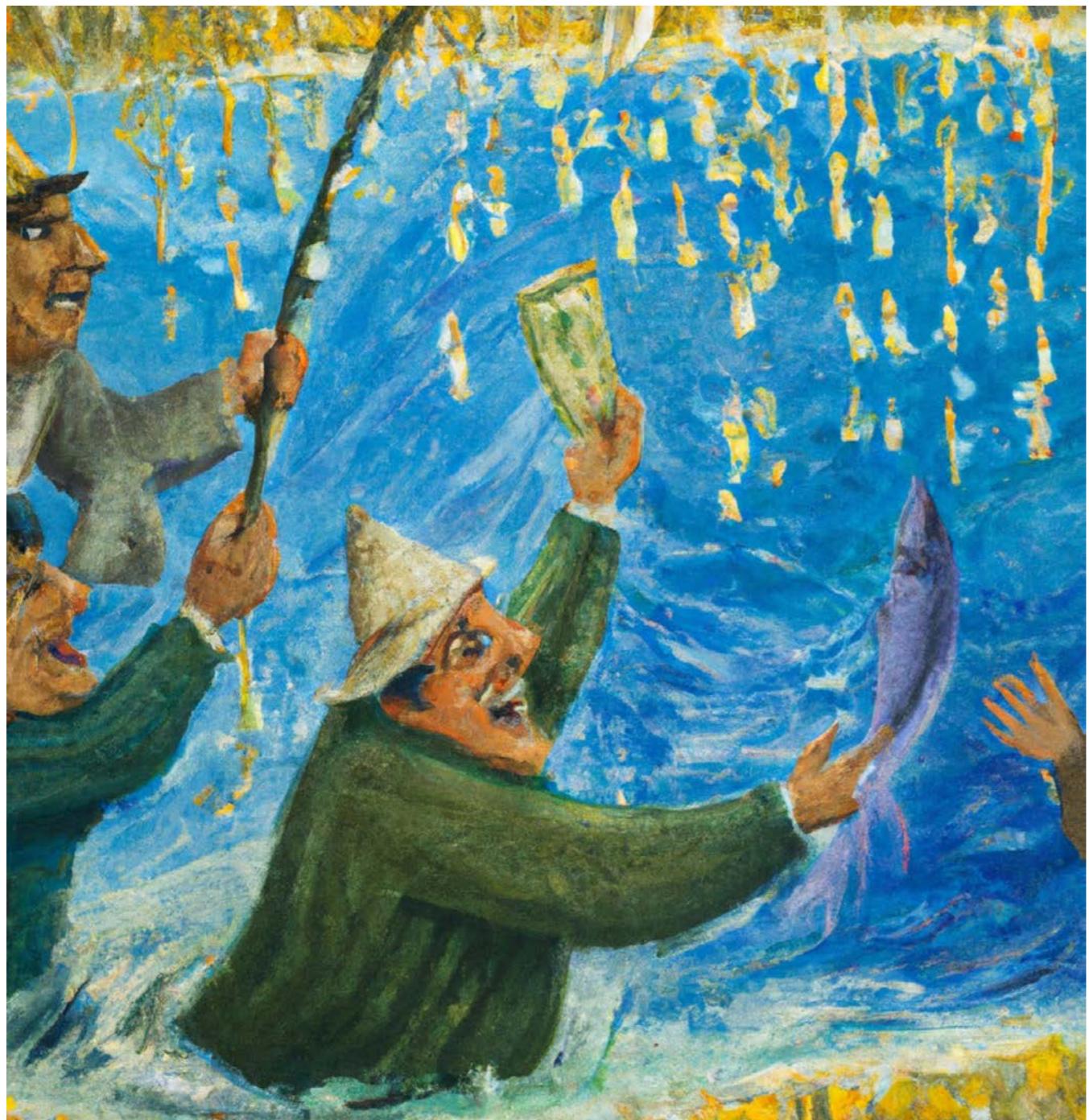
بعد صخب اليوم، وضجيج المارّين،
بعد هرب التّوم، وضلال الظّالمين،
أسعى إلى أن أحيا من جديد،
أسعى إلى ذلك اليوم البعيد،
تمرّ أيامي فاحزن ضائعاً،
حتّى وصلتُ أني،
أحنّ إلى الحنين،
ما عليّ سوى،
أن أصلّي خاضعاً،
حينها تأتي السّعادة،
ولوبعد حين،
سعادة لا تُبني على مالٍ وفير،
بل على كوب قهوةٍ،
وكتابٍ منير،
لا تُبني على الأشكال الْخارجيّة،
إِنّما على جمال الأرواح الباطنيّة،
والقلب الصادق الجميل.



صَيَّارُ الْمُسْتَقْبَلِ (٢٠٢٣)

في زوارق الصيد وعلى زرقة أمواج البحر، صيادون من كل بقاع الأرض، قد جهزوا شبакهم ووضعوها في الماء متربقين الصيد الوفير، وبعد انتظار، تخرج الشباك وفيها أموال كثيرة، دولارات وفيرة، فلا يلق لها أحد اهتمامه ولا يفرح بها قلب.

وبعد أيام، لم يزل الصيادون قابعين في قواربهم، وقد اصطادوا جباراً من الأموال، وبقي الوضع على هذه الحال، إلى أن علقت سمكة فضية صغيرة في شباق أحد الصيادين، فتفجرت الصيحات، وتلاطممت أمواج الفرحة، وتهلل الجميع لهذا الإنجاز العظيم، ونطقت الأفواه بعبارات الرّاحة وقالت: «إن هذا لزادٌ وفيه.»



مُعَمَّدُ مُرَوَّرُ الزَّمْنِ (٢٠٢٢)

حينها، كان الجميع يشجّعنا لنحلّم، تركونا نستمتع قبل الزوال، قبل الحقيقة، ملأنا جدراننا بالرسومات الطموحة، واشترينا الطائرات الصغيرة لنحلق بها، غير آبهين أبداً تكسير الأجنحة، وكيف نأبه، والخيال والأحلام خير الأجنحة؟

في هذا العالم، في هذا الواقع، لا مزيد من الأحلام، فقط أكاذيب، نكذب على بعضاً البعض أو على أنفسنا لنرضي حريّاتنا الهشّة، وكيف تعطى لهذا الواقع، وكيف تحلم فيه؟ لا مكان للحلم سوى على شاشات التلفاز أو عند خوف الحاكم من ثورات شعبه، لا مكان للحلم إلا لدعم الأجنadas الخسيسة، لا سبيل للحلم إلا عن طريق الأموال، لا سبيل للحلم، لأنّ الواقع كابوس، ولا تلتقي الأحلام والكوابيس إلا على فراش الموت.

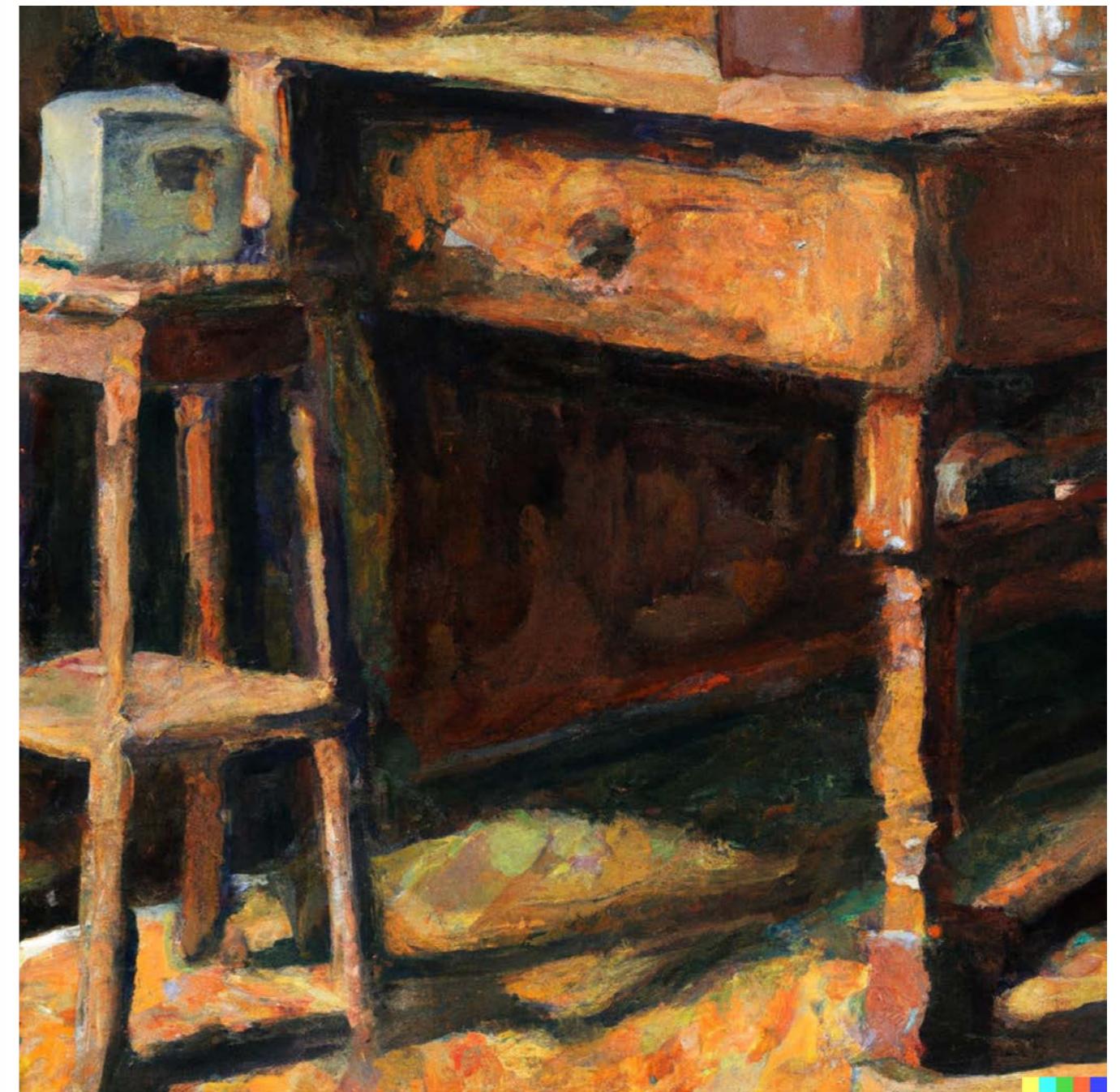
أنا عن نفسي قد قررت أن لا أسعى نحو أحلامي، بل أريد أن أتركها أحلاماً محميّة غير ملطخةٍ برماديّة الواقع المقرف، لترتوي فقط من الخيال الطّاهر، وتمدد عبر نسيجه المقدس، وتنبت جنائزها المتمرّدة في قلبي، فتلتفّ أغصانها كالشرايين، وتبعث أنهاها دماءً متدفعّة، أمّا حلمي الجديد فهو أن أحلم من جديد...

لطالما راودتني تلك الأسئلة، مع مرور الأيّام وتواлиها، وقصاوتها وتجافيتها، لما يا ترى كانت تلك الأحلام جميلةً حينها؟ والله إنّي أكاد أقسم بأنّها كانت أشدّوضوحاً وأكثر لمعاناً، على الرّغم من عدم تبدلها، إلا أنها ميّة، أو شبه ميّة. كم أتحسّر على فراقها، كانت بئراً تتفجرُ خيراً لتسقي العطشى، باتت ظمانة تتوق إلى مياهٍ تجري في أعماقها لتعيد إلى الحياة.

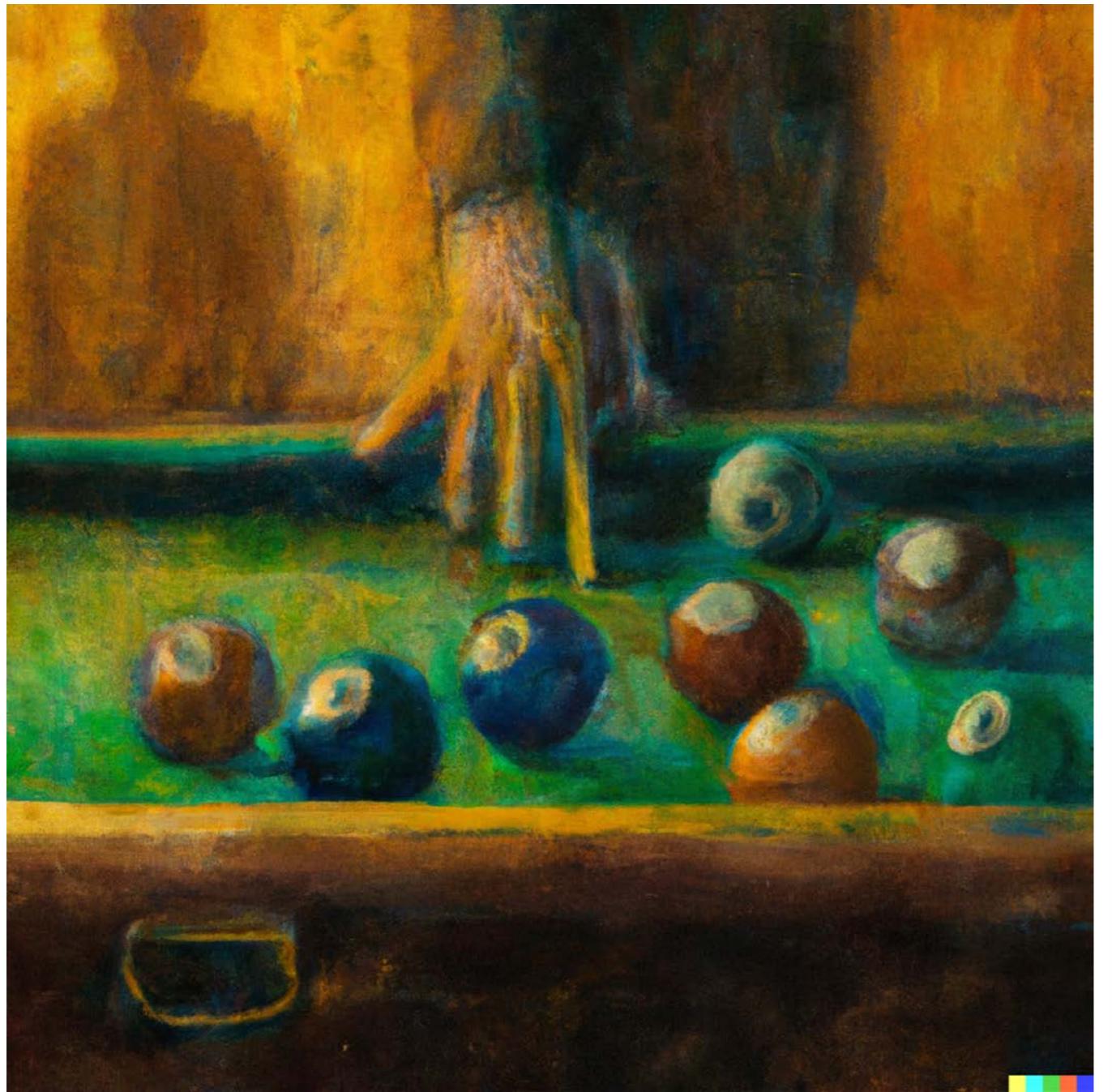
كلّما مرّت ساعةٌ، أو دقيقة، أو حتّى ثانية، أحسّ بأنّ أحلامي العزيزة تدنو من الإحتضار، ولكنّي سعيدٌ بذلك، لماذا؟ لأنّها عزيزة.

في هذه الدّنيا، دنيا الكبار، أو كما أحبّ أن أسمّيها، وهمهم، أو وهمنا، فإنّي لربّما صرت أقرب إليهم من عمر روحي العتيقة، التي يقتلني الشّوق لألقاها مجدّداً، في هذه الدّنيا، لا قيمة للأحلام، لأنّ لا قيمة للواقع.

عندما كنّا أطفالاً، كانت أحلامنا تستمدّ غذائها من براءتنا البلياء، من عيوننا العمياً التي أحبّت واقعها الأحمق، ظنّت أنّ العالم يعمل كما يعمل قلبها، المخلص فيدقّ ليرسل دمائه إلى تلك الأطراف السّاعية نحو تحقيق الأحلام، فضحكـت علينا، وكانت فقط حلمًا أكبر.



سِتِّيَّكَهُ بِلِيَار (٢٠٢٣)



كنتُ غائِصاً في بحور أفكارِي بعد يومٍ عصِيبٍ، وقد اقتربت السّاعة من الرابعة فجراً، وأنا ما زلت مُستيقظاً، بل تائهاً حتّى الآن. ولكنني قد وجدت نفسي فجأةً حاملاً لعصا الطاولة أو كما نسمّيها باللّبناني، «ستيكة بليار»، أنظم الكرة الملوّنة للاعب لعبَةً مختلفةً ضدّ نفسي أيضاً بعد أن أرهقني لعبتي الأولى. بدأت أتفكّر قليلاً، كعادتي طبعاً، عن هويّة الستيكة، وذكرياتها المحفورة داخل أخشابها الحاضنة، فتعجّبت لأمرها، ألا زالت تذكر صانعها، أول لاعبها الأول؟ ألا زالت تذكر جميع الأيدي التي ضمّتها، أيادي المحترفين والمبتدئين وأيادي الذين يحملونها كما يحملون القلم؟ ألا زالت تتذكر تلك المباريات، أو المعارك، التي أُستخدمت فيها كالسيف؟ ألا زالت تذكر تلك المحادثات الرومنسيّة، أو النّقاشات الدينية، أو المواجهات السياسيّة التي حصلت تحت مسامعها؟ تتضارب القصص، كما تتضارب كرات الطاولة، وتبدلّت الأيّام والأيادي، وتخرج الطّلاب وأئس من يخلفهم، وأئس زوار جدد إلى منامة الحرم الجامعيّ، والستيكة واحدة كثيرةُ الذّكريات.

واشتدّ حينها وطيس المعركة بيني وبين نفسي، ووصلنا إلى الكرة السّوداء، الكرة التي ستهي خلافنا اللّيلة، ففزت أنا، وأدركت حينها أنّني أصبحت ذكرى من ذكريات الستيكة التي شهدت إنتصاري الكبير على ذاتي، وأنّني يوماً ذاهبٌ ليأتي من يلعب بـ«ستيكة البليار» فجراً.

جَهَنَّمًا (٢٠٢٣)

تدور قصتنا هذه في قصرٍ بهيٌ يسمى لبنان تتصارع فيه أقلام التراث لتخط لننا تاريخاً مجيداً، مضطرباً ومشرقاً، ولترسم لنا عبرةً علينا بها ننتفع فنتعلم ونعلم لنعمل ونبني لبنان جديداً.

الصياد المهيوب وحارس القسم الجنوبي من القصر، يشد الرحال كل يوم حاملاً صناته ليجلب لبيروت خير أسماك المدينة لعلها بذلك تصبح أقرب للشفاء. أمّا حبيبته صور، تلك الفتنة بأناقتها، المخلصة دائمًا وأبداً، تعالج بيروت وتقدم لها الدواء كي تستفيق. وفي غرفة بيروت المريضة، قبعت الجدة أرزة قلقة على حال أبنائها، تراقب صرخات بيروتها الحزينة وتألم لتآلمها باكيّة الحال التي آل إليها القصر بعد أن كان عامراً بالمحبة والأخوة. أسرع ساكنو القصر بإحضار الطبيب، فحال بيروت يستوجب العلاج السريع، ومعرفة أصل المرض أول خطوة للشفاء. دقّ الطبيب أبواب القصر العالية، وفتحت له الأبواب مرحبة بقدومه، فدخل حاملاً أدواته إلى مستقر المريضة. رأى الطبيب أثناء تجواله في القصر تلك الأوجة المتوتة، فتماثيل الشهداء تبكي لمرض بيروت، وقلعة موسى قد ذابت تماثيلها، وصخرة الروشة غرقت لأنها على بيروت. رغم كل هذا، تفاجأ الطبيب بطبق من التبولة يقدم إليه من أرزة، وإصرارها العجيب عليه لأنّه بعد أن أعيته مسافة الطريق، فأكله بعد رفضه المتكرر ثم دخل إلى بيروت.

بيروت: «والله إنّ الألام لينهش داخلي، أريد الموت.»

الطبيب: «يا بيروت، إنّك حياة القصر، إن متّي الآن لحقوا بك.»
بيروت: «ولما لا يحقّ لي أن أموت، ألا ترى إخوتي يتصارعون يومياً بين بعضهم البعض، فلا يهدا القصر ولا تهدا لي حال.»

في يوم طال انتظاره، وفي أروقة قصر لبنان المهيوب، ذلك القصر الذي تلامست فيه آثار الحضارات الماضية لترفع أعمدة جدران يقطر منها التاريخ، وللتراجح على ثرياتها أحرف الأبجدية فترفرف كطائر الفينيق فوق زوارق الأرز، الموضوعة في «الأكواريوم»، دوى الخبر اليقين ليهزّ كيان القصر وساكنيه، السّت بيروت مريضة! قد أعيتها المرض وأنهكتها فجعلها حبيسةً لفراشها، متغيبة عن واجباتها حقل القصر وأماماً للجمال وحاضنة للدنيا كما عهدناها طوال حياتها. وقد أحدث هذا بلبلة في زوايا القصر، كيف تمرض السّت بيروت؟ وكيف يحيا القصر بمرض سيدتها؟ ها هي طرابلس، حارسة القسم الشمالي من القصر، تبكي سيدتها وتتضرع إلى ربّها في ساحة النّور، وهي حديقة أفتنت فيها طرابلس عمرها مهتمّة بها وبتفاصيلها، فباتت حاضنة لصلواتها الحارة ولأمانيها القريبة والبعيدة.وها هي بعلبك بقلعتها الجبارية وشمسها الباعثة للحياة تقوم بكل ما تستطيع من قوّة بمساندة بيروت في محنتها.وها هي جبيل، قديمة العهد بمينائها الجليل ولطافتها المعروفة، تطبخ لبيروت ما يساعدها على الشفاء والقيام. كما نرى صيدون، الرجل

بيروت: «لا يوجد عيش وكول غيرا في الصيدليات.»

الطبيب: «يمكنك أن تجدي بديل له. أظن كان اسمه بتكرر وبتنسى.»

بيروت: «الدواء بالدولار أيضاً، لا أملك سوى ليرة لبنانية.»

الطبيب: «ماذا يمكنني أن أفعل، من الآن يملك ليرة، هل جنت؟»

بيروت: «يا حكيم، لقد سئمت النسيان، لقد سئمت الكبر ولقد سئمت هذه الأغلال الطائفية التي تكبلني. متى تحين ساعة التحليق، متى تحين ساعة حريري. أما آن الأوان لذلك؟ أما آن لنا أن نعيش يداً بيدٍ في هذا القصر المظلوم؟ أما اكتفينا من الحروب الماضية؟ ألم نتعلم من تلك الدّماء، ألم نفّقه أن لا سبيل للحياة إلّا معًا؟ ولما لا أحافظ بليرتني، إني أعتزّ بليرتني ولو كانت لا تساوي شيئاً، ولو كانت تفقدني من كرامتي وتخسر يومياً من قيمتها المنهوبة، إلّا أنها ليرتني، فخر صناعة قصري، تمثّلني وتمثّل كلّ من في القصر، فنرى عليها أشهر ما يميّز لبنان، لبنان الذي يجب علينا أن نضحي من أجله بدمائنا وأن نضحي لأجله تكبّلنا الكاذب المنافق الذي حرمنا حلوة العيش بين هذه الجدران. متى نعلم أن تفرقنا لعنة، واتحدنا شرف وقوّة وشهامة، أين الوفاق الوطني، أيظلّ حبيس كتب التاريخ؟ أين المسيحي أخي المسلم، والمسلم أخي المسيحي؟ فلتتصدح مساجدك يا بيروت بصوت الآذان المهيّب ولتدقّ أجراس كنائسك المقدسة كي لا يبقى لنعيق الطائفية مسمّعاً، حتّى نعيش إخوة بسلام، على اختلاف الطوائف والإيديولوجيات، وحبّتين من «عيش وكول غيرا».».

الطبيب: «الحقّ معك يا بيروت، ولكن هكذا تسير الأمور بين الإخوة، يتصارعون ثم يتصالحون، والآن أخبريني، أريد أن أعرف سبب مرضك، ماذا يؤلمك؟»

بيروت: «مرفاي.»

الطبّيب: «عفواً؟»

بيروت: «مرفقني يا حضرة الطّبيب.»

الطبّيب: «وماذا أيضاً؟»

بيروت: « هنا فوق شريان الحمراء، قرب الجامعة الأميركيّة.»

الطبّيب: «هذا مكان خطير. أخبريني بماذا تشعرين؟»

بيروت: «أشعر بأنّ خلائي تأكل بعضها بعضاً، وكأنهم يتعاركون على قطع من جسدي، يتعاركون بينهم على مخاصصتي دون أن يكون لي رأي في ذلك.

أشعر بأن لا كهرباء تصل إلى مخي، لا يمكنني التفكير بشكل جدي، كل ما يمكنني الإحساس به هو تلك الهتافات الفارغة التي ترسلها الخلايا، في بعض الأحيان أشعر وكأن إنفجاراً سيخترق غشاء قلبي ليفتته، وتلك الحياة الجميلة الراقية التي عهدتها في أيام الصبا أفكّأنها لن تعود؟»

الطبّيب: «لم أكن أعلم أنّ حالك بهذه الصّعوبة. ولكنني قد أيقنت مرضك، للأسف إنّك مصابة بمرض الطائفية. يجب عليكأخذ حبة من مسكن النسيان وحبّتين من «عيش وكول غيرا».».

لِبَرُوت

مَجْدٌ مِنْ رَمَادٍ لِبَرُوت
 مِنْ دِمٍ لِوَلِدٍ حُمْلَ فُوقَ يَدِهَا
 أَطْفَأْتُ مَدِينَتِي قَنْدِيلَهَا
 أَغْلَقْتُ بَابَهَا
 أَصْبَحْتُ فِي الْمَسَاءِ وَحْدَهَا
 وَحْدَهَا وَلِيلٌ
 وَتَبَكَّيْ بَيْرُوت نَاظِرَةً إِلَى سَقْفِ قَصْرِهَا الضَّيقِ، وَتَتَأْرِجُ آهَاتِهَا الْمُلْتَهِبَةَ بَيْنَ
 كَفَّتِي الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، ثُمَّ تَعْلَى صَرَخَاتِهَا لِتَخْرُجُ أَنفَاسَهَا الْآخِيرَةِ مُخْتَرَقَةً
 حَدُودَ الْقَصْرِ، مُوقَظَةً سَاكِنِيهَا نَاسِيَةً ضَمَائِرَهُمْ، مُرْسَلَةً آخِرَ رِسَالَةِ لَهَا إِلَى كُلِّ
 مَنْ يَسْمَعُ:

أَنَا بَيْرُوت، لَا أَمُوتُ، مَهْمَا شَقَّتْ عَلَيَّ الْمَصَائِبُ، وَمَهْمَا باعْتَنِي الْكَارِهُونَ،
 أَنَا بَيْرُوت، لَا أَمُوتُ، شَوَّارِعِي مَلْجَأُ الْجَمِيعِ، لَأَنِّي بَيْرُوت، لَا أَمُوتُ، أَنَا الْأَمْ
 الْحَنُونُ، أَنَا شَلَالُ الْتَّقَافَةِ وَمَنَارَةُ الْعِلْمِ، أَنَا بَيْرُوت، لَا أَمُوتُ، مَهْمَا تَبَدَّلَتْ
 الْأَيَّامُ وَمَرَّتْ الشَّهُورُ وَالسَّنَوَاتُ، سَأَظْلِلُ بَيْرُوت عَاصِمَةَ النَّعْمِ وَالْخَيْرَاتِ،
 لَأَنِّي بَيْرُوت، وَبَيْرُوت لَا تَمُوتُ.

وَبَكَى كُلُّ مَنْ فِي الْقَصْرِ عَلَى فَرَاقِ سَيِّدِهِ، كَيْفَ لَهُمْ لَمْ يَفْقَهُوا رِسَالَةَ
 بَيْرُوت كُلِّ هَذِهِ السَّنِينِ، وَلَمَّا لَمْ يَتَوَدَّدُوا لِأَجْلِهَا وَلِأَجْلِ مَصْلَحةِ الْقَصْرِ؟ قَدْ

وَعَلَى إِخْتِلَافِ الْأَلْوَانِ وَالسَّمَاتِ، كُلُّنَا لِلْوَطَنِ، لِلْعُلُونِ لِلْعِلْمِ.»

الْطَّبِيبُ: «لَقَدْ كَانَ لِخَطْبَتِكَ هَذِهِ بِالْغَلَبَةِ عَلَيَّ يَا بَيْرُوتُ، وَاللَّهِ إِنَّ لِكَلْمَاتِكَ
 الْضَّادَقَةَ حَلاوةً لَا مِثْلُهَا عَلَى قَلْبِيِ، فَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ تَأْلَمْتُ لِحَالِكَ هَذِهِ،
 وَأَدْعُ اللَّهَ أَنْ يَعُودَ الْقَصْرَ لِسَابِقِ عَهْدِهِ بِلَوْأَنْكَ تَسْتَحْقِّيْنَ ذَلِكَ يَا
 بَيْرُوتَ. لَا تَنْسِي أَنْ تَأْخُذِي الْأَدْوِيَةِ الَّتِي وَصَفَتْهَا لَكَ وَإِنْ شَاءَ اللَّهُ سَتَقْوِيمِينَ
 خَيْرَ عَاصِمَةٍ لِهَذَا الْقَصْرِ السَّاحِرِ.»

بَيْرُوت: «اللَّهُ الْمُسْتَعْنَى. اَنْتَ بِهِ عَلَى نَفْسِكِ يَا دَكْتُورُ.»

الْطَّبِيبُ: «مِنْ قَلْبِي سَلَامٌ لَكُ.»
 وَذَهَبَ الْطَّبِيبُ، وَبَاتَتْ بَيْرُوت وَحِيدَةً فِي غَرْفَتِهَا، حَزِينَةً عَلَى قَصْرِهَا، تَسْتَمِعُ
 إِلَى هَذِهِ الْأَغْنِيَةِ الْفِيروزِيَّةِ:
 لِبَرُوت

مِنْ قَلْبِي سَلَامٌ لِبَرُوت
 وَقَبْلُ لِلْبَحْرِ وَالْبَيْوَتِ
 لِصَدْرِهِ كَانَهَا وَجْهٌ بَحَارٌ قَدِيمٌ

هُنَيِّ مِنْ رُوحِ الشَّعَبِ خَمْرٌ
 هُنَيِّ مِنْ عَرْقِهِ خُبْزٌ وَيَاسِمِينٌ
 فَكِيفَ صَارَ طَعْمُهَا طَعَمَ نَارٌ وَدُخَانٌ؟

وأتعسنا أنفسنا. أقسم لك أنه مهما طال الزّمان، ومهما قست عليك الأيّام، وإن سُرقت بيروت، وإن قُتلت بيروت، سنبني لبناناً جديداً جميلاً، خالياً من أيادي الفساد، يتّسع صدره لجميع العباد، لأنّنا وإن أخذمت نيراننا عقارب الزمن وتخديرات المساعدة، تخربت الآن بموت بيروت.

اليأس والحزان، حتماً سنستفيق!



أعمتهم مصالحهم عن مصالحهم! قد احتضروا بأيديهم وبسّاكينهم ولم يعد للقصر أيّ قيمة الآن بين القصور الأخرى الشامنة، تلك التي لطالما أدعّت حب المساعدة، تخربت الآن بموت بيروت.

أنت الأرزة المهيّبة لتباكي ابنتها الرّاحلة، داعية أبنائها للتّوّحد رغم الإختلاف، وذلك كي يعود لبنان إلى سابق عهده ولتعود الروح إلى بيروت ويُضيّق القصر ببراعم الحياة، لأنّنا نستحقّ الحياة. وبدأت عجلة التغيير تدور، وبات الحوار محوراً أساسياً لديناميكيّة القصر، وصعد الإخوة ليساندوا بعضهم البعض، ولি�تفاهموا ويحلّوا خلافاتهم القديمة العقيمة، التي لطالما أدّت إلى اشتعال الفتنة والحرّوب. نادت الأرزة بقيادة الشباب، وشدّدت على احترام الكبار، وزرعت أهمّ فكرة في قصر لبنان، فكرة أنه مهما اختلف الإخوة، ومهما تبدّلت الآراء، ومهما تعالت الأصوات، فالليّت واحدٌ والمصير واحدٌ، والجميع متراّبطون في شبكةٍ واحدة، فإنّ عشنا، عشنا معًا، وإنّ متنا، نموت معًا. وشيد القصر الجديد على هذه الأعمدة، تحت رعاية الأبناء المحبّين، الذين مهما تناقلوا القصور، يظلّ لقصر لبنان لهم مكانة خاصة لا يحتلّها مكان، وهذا هي بيروت الجميلة تطوف حول القصر الذي، تغنى أجمل الأغانى، وتستمع لصباحيّات فيروز الأزليّة، حارسة القصر دائماً وأبداً، مهما طال الزّمان.

لبنان، يا جنّةَ الخالق، يا قطعة من السّماء البهيّة تنزلت على هذه الأرض، كلّنا أبناءك المخطئون الظالمون، ما قدرناك حقّ قدرك، بل أهملناك فأتعيناك فأتعسناك

أَعْلَى الْطَّرِيقَ (٢٠٤)

بِالْمَالِ الْكَثِيرِ وَالرِّبَحِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ يُشْفِي اشْتِعَالَ النُّفُوسِ وَإِنَّمَا هُوَ يُؤْجِجُهَا،
مَالَتْ نَفْسُ زِيدٍ لِجَمَالِ الْمَزْرِعَةِ وَاسْتَطَابَتْ جَمْعُ أَمْوَالِهَا وَخِيرَاتِهَا، وَلَكِنْ زِيدًا
لَمْ يَنْسَ أَنَّ هَدْفَهُ أَنْ يَصْلِي نَهَايَةَ الْطَّرِيقِ فَأَبْيَ الْبَقَاءِ وَمَضَى فِي سَبِيلِهِ تَارِيَّاً
الْقَنِينَةَ مُلِيئَّةً كَمَا كَانَتْ...

أَكْمَلَ زِيدُ الْطَّرِيقَ، وَصَلَّى صَلَاتِهِ التِّي لَقِنَتْهُ إِيَّاهَا، وَحَمَدَ اللَّهَ عَلَى كُلِّ حَالٍ،

ثُمَّ نَادَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَعِيدٍ، شَعْرُهُ مَلْوَأٌ، طَوِيلُ الْأَظَافِرِ، وَكَانَهُ لَمْ يَمْرُ عَلَى
حَمَامٍ قَطَّ، وَسَأَلَ زِيدًا عَنْ وَجْهِهِ، فَأَجَابَهُ، فَأَقْسَمَ الرَّجُلُ أَنَّهُ يَعْلَمُ طَرِيقًا
مُخْتَصِّرًا لِنَهَايَةِ الْطَّرِيقِ، وَذَلِكَ عَبْرَ وَادِي الطَّاقَةِ الرَّوْحَانِيَّةِ الْفَرِيدِ، الَّذِي
سِيَسْهُلُ عَلَيْهِ وَيُخَفِّفُ عَنْهُ مَشْقَةَ الْطَّرِيقِ. أَحْسَنَ زِيدٌ بِأَنَّ الرَّجُلَ يَكْذِبُ عَلَيْهِ،
فَلِمَاذَا هُوَ مَصْرُّ هَكُذا عَلَى قَدْوَمِهِ مَعَهُ؟ رَفَضَ زِيدٌ عَرْضَ الرَّجُلِ وَالتَّفَّ

لِكَمَالِ الْمُسِيرِ، إِلَّا أَنَّهُ وَجَدَ الرَّجُلَ الْمُرِيبَ يَصْرَخُ وَيَقُولُ أَنَّ زِيدًا عَمِدَ اخْتِطَافَهِ
وَأَخْذَهُ إِلَى طَرِيقٍ خَاطِئٍ، فَتَعَالَتْ أَصْوَاتُ الْحَوَافِرِ الْغَاضِبَةِ، وَأَتَتِ الْحَمِيرُ مِنْ
كُلِّ حَدْبٍ وَصُوبٍ تَنْهَقُ عَلَى صَاحِبِنَا وَكَانُوا تَرِيدُ اقْتِلَاعَهُ أَوْ ابْتِلَاعَهُ فَهَرَبَ زِيدٌ
وَخَلْفَهُ أَسْرَابُ الْحَمِيرِ...

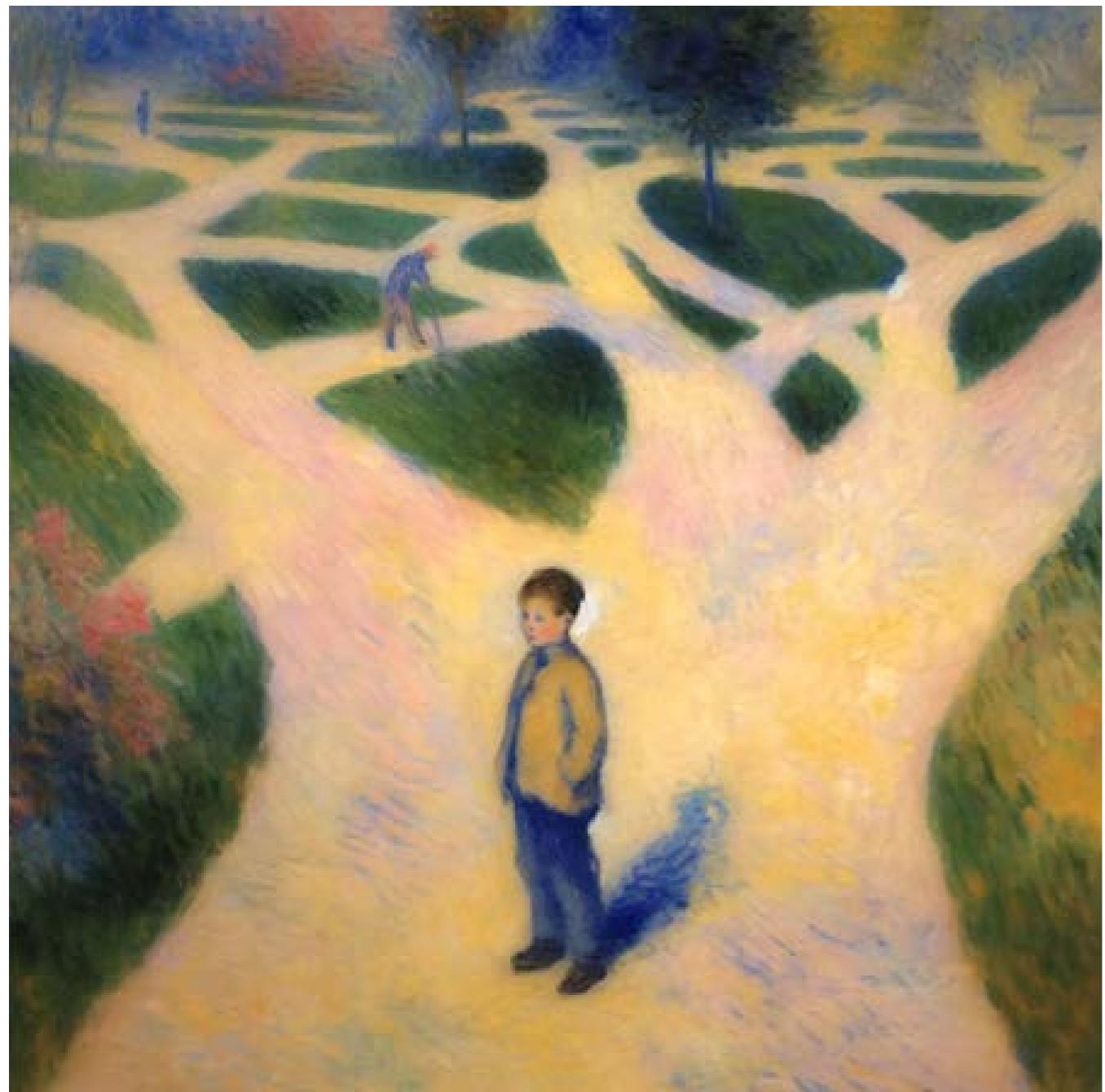
نجَا زِيدٌ مِنَ الْبَهَائِمِ الْغَاضِبَةِ بَعْدَ أَنْ رَكَضَ بِأَقصَى سُرْعَتِهِ وَوَصَلَ إِلَى الْمَنْطَقَةِ
الْآخِيَّةِ مِنَ الْطَّرِيقِ الَّتِي لَمْ تَسْمِحْ لِلْحَمِيرِ بِدُخُولِهَا لِقَدَاستِهَا. وَأَحْسَنَ زِيدٌ

الْطَّرِيقَ طَوِيلَةً، قَاسِيَّةً وَثَقِيلَةً. عِنْدَ مَطْلَعِ الدَّرَبِ طَفْلٌ صَغِيرٌ، وَلِدَ فِي سَاحَةِ
الْحَرَبِ الْمُشْتَعِلَةِ، فَاخْتَلَطَ بِكَاؤِهِ بِأَصْوَاتِ الْمَدَافِعِ وَصَرَاخِ أَجْهَزةِ الْاِنْذَارِ. رَفَعَتْ
الْطَّرِيقَ جَدَارًا مِنْ تَرَابِهَا لِحِمَايَةِ الْطَّفْلِ، لَكِنْ سَرَعَانَ مَا كَانَتْ تَهْدِمُهُ الْقَذَائِفُ،
فَتَرَفَعَهُ الْطَّرِيقُ مِنْ جَدِيدٍ. أَسْمَتِ الْطَّرِيقَ الْطَّفْلَ زِيدًا، وَأَخْرَجَتْ لَهُ مِنْ أَرْضِهَا
عَدْسًا وَفَوْلًا لِتَسْدِّ جَوْعَهُ، وَأَخْرَجَتِ الْمَاءَ لِتَرْوِيِ الظَّمَاءَ، حَتَّى كَبُرَ الْطَّفْلُ
وَأَصْبَحَ رَجُلًا.

عِنْدَمَا بَلَغَ زِيدُ وَاحِدًا وَعَشِيرَتِهِ سَنَةً، عَلِمَ أَنَّهُ وَجَبَ عَلَيْهِ اسْتِكْشَافُ الْطَّرِيقِ
لِيَصْلِي لِنَهَايَتِهَا، فَكَانَمَا أَوْحَتِ إِلَيْهِ الْطَّرِيقُ بِذَلِكَ، فَقَرَرَ أَنْ يَشَدَّ الرَّحَالَ وَيَوْدُعَ
بِلَادَهُ وَأَرْضَهُ وَمَسْقَطَ رَأْسِهِ: سَاحَةَ الْحَرَبِ.

فَرَّ زِيدٌ مِنْ تَحْتِ الرَّصَاصِ حَتَّى اهْتَدَى إِلَى مَزْرِعَةِ كُوكَا كُولاَ تَبَاهِي بِزَهْورِهَا
الْمَقْسُومَةِ بَيْنَ حَمْرَةِ وَزْرَقَةِ، وَتَفَاخِرُ بِثَمَارِ أَشْجَارِهَا الَّتِي اتَّخَذَتْ شَكْلَ نَجِمٍ
مُتَعَلِّلٍ، ثُمَّ اتَّرَزَعَ قَنِينَةً مِنَ الرَّمَالِ وَهُمْ بِشَرِبِهَا حَتَّى قَاطَعَهُ صَوْتٌ يَشَابِهُ
صَوْتَ رَنِينِ الدَّنَانِيرِ، هُوَ صَاحِبُ الْمَزْرِعَةِ قَدْ أَتَى لِيَرِى مِنْ زَائِرِهِ الْمُحْظَوظِ.

كَانَ الرَّجُلُ سَمِينًا، يَلْبِسُ بَدْلَةً أَنيقَةً لَوْلَا أَزْرَارُهَا الضَّائِعَةُ، وَرِبْطَةُ الْعَنْقِ
تَنَاسَبُ مَعْ رَأْسِهِ الْمُتَمَثِّلِ بِوَرْقَةِ دُولَارٍ ارْتَعَدَ زِيدٌ لِرَؤْيَتِهَا. دَارَ الْحَوَارُ بَيْنَ
الْلَّاثَيْنِ، فَصَاحِبُ الْمَزْرِعَةِ يَعْرِضُ عَلَى زِيدٍ أَنْ يَبْقَى عَنْهُ وَيَعْمَلَ لِدِيهِ، وَوَعَدَهُ



حينها بالفخر والاعتزاز، فقد ظنَّ أَنَّه بشجاعته وحدها وصل، فانشقت الأرض من حوله وأنبتت مرايا فوقها مرايا وحاصرته من كُلِّ جانب، ودوى الصوت المهيِّب بين آلِفِ الضائعين من ضائع واحد، ويلٌ لكُلِّ مختالٍ فخور، نفسي، نفسي، النَّفْسُ الْأَمَارَةُ بِالسَّوءِ، فخَرْ زِيدٌ وَقَبْلَ الطَّرِيقِ ثُمَّ صَلَّى كَمَا تَعْلَمَ، وسجدَتْ مَعَهُ انعكاساته شَكَرًا لِذَالِقِ الطَّرِيقِ. تحطمت المرايا، ومشى زيد ووصل، إلى الدوض، والنَّبِيُّ الْأَمِيُّ يُسقِي الْوَاصِلِينَ، الجميع فرحن، يتهدّتون عن الحروب وجنائن الكوكولا والرَّجُل الغريب وأسراب الهمير وعن النَّفْسِ وَعَنِ الْعَدْمِيَّةِ وَعَنِ الطَّاقَةِ وَعَنِ الْفَلْسَفَةِ وَالْمَنْطَقِ وَشَطَائِرِ الْبَرْجِرِ، وَالْكُلُّ فِي طَابُورٍ يَنْتَظِرُ دُورَهُ، وَأَتَى دُورُ زِيدٍ، فَأَسْقَاهُ النَّبِيُّ، فَنَسِيَ كُلُّ مَا عَانَاهُ، ثُمَّ رَبَّتْ عَلَى كَتْفِهِ وَقَالَ: «هَنِيَّا لَكَ أَنْكَ بَقِيتَ عَلَى الطَّرِيقِ، عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.»

الْفُرْبَةُ الْفَكْرِيَّةُ (٢٠٢٤)

تُعرَّفُ الْغُرْبَةُ بِأَنَّهَا شَعُورٌ سُلْبِيٌّ يَنْتَابُ عَادَةً الْبَعِيدُ عَنْ وَطْنِهِ، أَوْ أَهْلِهِ، وَهَذَا بَعْدُ مَكَانِيٌّ تُصْلِحُهُ الْعُودَةُ إِلَى الْأَرْضِ أَوْلَمُ الشَّمْلِ بَعْدِ الْإِفْتِرَاقِ، أَمَّا الْغُرْبَةُ الْفَكْرِيَّةُ فَتَكُونُ عَلَى شَكَلَيْنِ، إِمَّا تَلَكَّ المُفْتَلَةَ بِسَبِيلِ بُعْدِ زَمَانِيٍّ، أَوْ بُعْدِ فَكَرِيٍّ يُشَعِّرُ الْفَرَدُ أَنَّهُ غَرِيبٌ عَنْ زَمْنِهِ وَجِيلِهِ، لَا عَنْ أَرْضٍ أَوْ أَنَاسٍ. وَلَعِلَّ الْغُرْبَةُ الْعَادِيَّةُ أَرْقَ وَأَسْهَلُ، فَإِنْ كَانَتِ النَّفْسُ تَوَاقَّةً لِأَرْضٍ مَا، نَجُدُ فَرْصَةً لِلْذَّهَابِ إِلَى تَلَكَّ الْأَرْضِ، أَمَّا الْغُرْبَةُ الزَّمِنِيَّةُ الْبَحْثَةُ، كَإِشْتِيَاقِ فَرِيدِ لِشَخْصٍ مَيِّتٍ، فَلَا أَمْلَ فيَهَا إِلَّا الدِّينُ وَالنَّسِيَانُ، أَمَّا الْفَكَرِيَّةُ الزَّمِنِيَّةُ مَعْقَدَةُ الْمَسَأَةِ، فَوَجْبُ تَقْسِيمِ أَفْكَارِهَا لِتَسْهِيلِهَا وَلِإِسْتِفَادَةِ مِنَ الطَّرْحِ بِطَرِيقِ سَلِيمَةٍ نَافِعَةٍ.

يُجَبُ عَلَيْنَا أَنْ نُعَيِّنَ أَنَّ الْأَغْلِبِيَّةَ السَّاحِقَةَ مِنَ الْكَبَارِ فِي السَّنِ لَدِيهِمْ غُرْبَةُ فَكَرِيَّةٌ، فَقَدْ تَأَصَّلَتْ جَذْوَرُ تَعْلُقِهِمْ بِزَمْنِهِمْ وَأَهْوَالِهِ وَتَعَوَّدُوا عَلَيْهِ فَلَمْ يَعْدْ بِإِمْكَانِهِمْ مَجَارَاةُ عَجلَةِ الزَّمْنِ، وَلَا أَظُنَّ أَنَّهُمْ راغِبُونَ بِذَلِكَ أَصْلًا، بَلْ مَعَ الْعُمَرِ تَأْتِي فَكْرَةُ التَّقْبِيلِ، فَالْتَّبَدُّلُ سَنَّةُ الْحَيَاةِ وَلَا سَبِيلُ لِغَيْرِ هَذَا، فَتَسْكُنُ حِينَهَا نُفُوسُهُمْ بِغُرْبِتِهَا الْفَكْرِيَّةِ، فَلَا يَطْمَدُونَ إِلَى تَغْيِيرِ السَّائِدِ الْجَدِيدِ أَوِ الْبَحْثِ الْجَدِيدِ عَنْ مَنْ يُشارِكُ الْقَدِيمَ الَّذِي يَمْضِي وَاقْرَبُ انْقِراصِهِ، وَلَا يَطْلَبُونَ رَغْمَ ضَيْقِهِمْ سُوَى تَفْهِمِ هَذَا الضَّيْقِ، تَفْهِمُ هَذِهِ الْغُرْبَةِ وَالْفَجُوَّةِ الْفَكْرِيَّةِ مِنْ قَبْلِ الْجَيلِ الْقَاعِدِ، الْحَامِلِ الْآنِ لِمُشْعَلِ الْحَضَارَةِ وَالْمُتَحَكِّمِ بِمُسَارَاتِهَا، الْجَيلُ الَّذِي مُخْلِلَتِي بَعْدَ تَفْكِيرِي مَصْطَلُحٌ جَمِيلٌ يَعْبُرُ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي مَرَرْتُ وَمَا زَلتُ أَمْرُ بِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، الْغُرْبَةُ الْفَكْرِيَّةُ!

أَثْنَاءَ مَطَالِعِي لِرَوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقَصِيبِيِّ الشَّهِيرَةِ، «شَقَّةُ الْحَرِّيَّةِ»، اسْتَفَاقَتْ فِي رَأْسِي فَكْرَةٌ كَانَتْ غَارِقةً فِي مَسْتَنقِعَاتِ النَّسِيَانِ، وَإِنَّ الْأَمْرَ الَّذِي أَيْقَظَهَا لَهُوَ قَصَّةُ حُبٍّ بَيْنَ فَوَادِ، أَحَدِ أَبْطَالِ الرَّوَايَةِ، وَبَيْنِ لِيلَيِّنِ السَّاعِرَةِ الْكَوِيْتِيَّةِ الْغَامِضَةِ، فَعِنْدَ اِنْكَشَافِ مَعَالِمِ الْحُبِّ بَيْنَهُمَا، وَتَتَابِعُ سِيرَ الْأَحْدَاثِ، أَعْجَبَنِي بِشَدَّةٍ تِبَادُلَهُمَا لِرَسَائِلِ الْحُبِّ الْمَطْوَلَةِ الْمُلَيَّةِ بِأَبِيَاتِ الشِّعْرِ الْمُسْتَعَارَةِ حِينَا وَالْمُبْتَكَرَةِ حِينَا آخِرَ.

أَدْرَكْتُ حِينَهَا أَنَّهُ لَيْسَ ثُمَّ مِنْ أَتِبَادِلِ وَإِيَاهُ رَسَائِلِ الْحُبِّ وَالشِّعْرِ الْمَطْوَلَةِ مِثْلِ الرَّوَايَةِ، وَلَا حُبُّ الشِّعْرِ وَالْقَصَائِدِ، وَلَا الرَّوَايَةِ، وَلَا الرَّسَائِلِ حَتَّى! وَتَفَكَّرْتُ فِي امْتِدَادِ ذَلِكَ إِلَى أَغْلَبِ أَطْرَافِ حَيَاتِي وَمَنَابِعِ أَفْكَارِيِّ، فَمَا أَنَا بِمَحِبٍّ لِوَسَائِلِ التَّوَاصِلِ الْحَدِيثَةِ أَوِ الْمَوْضِعَةِ الْجَدِيدَةِ، بَلْ أَحِبَّ بَعْثَ الرَّسَائِلِ الْعُمِيقَةِ وَلِبِسْ قَمْصَانِ السَّبْعِينِيَّاتِ، لَا أَحِبُّ الْفَنِّ الْجَدِيدِ، بَلْ أَسْتَمْتَعُ بِأَفْلَامِ الْمَاضِيِّ وَمُسَرِّحَيَّاتِهِ الْرَّاقِيَّةِ وَأَغَانِيِّ فِيروزِ وَأَمِّ كَلْثُومِ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ الْخَالِدَةِ وَالْأَدَبِ الْرُّوسِيِّ وَالْعَرَبِيِّ وَالْإِنْكِلِيزِيِّ، فَلَا أَجِدُ الْآنَ مِنْ أَشَارِكِهِ بِكُلِّ هَذَا، وَلَا بِعَضِهِ، إِلَّا أَقْلَلُ الْقَلْلَةِ، وَهُمْ بِرَأْيِي الْبَعِيدُونَ عَنِ الْمَوْضِعَيَّةِ، نَخْبَةِ النَّخْبَةِ. وَقَدْ ظَهَرَ فِي مَخْيَلَتِي بَعْدَ تَفْكِيرِي مَصْطَلُحٌ جَمِيلٌ يَعْبُرُ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي مَرَرْتُ وَمَا زَلتُ أَمْرُ بِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، الْغُرْبَةُ الْفَكْرِيَّةُ!

أما أصحاب الغربة المؤذية، فينظرون إلى أن المجتمع أو الأغلبية هي من تعانى من الغربة الفكرية فيحاربونها بالسلاح، وهذا خطأ، ليس لأن الأغلبية دائمًا على حق، فها هم الأنبياء كانوا ينتمون للقلة وكانوا على حق، بل لأننا نحدد غربة الفرد أو المجموعة الفكرية بناء على مركبة المجتمع، دون الخوض في الخير أو الشر الذي تطرحه تلك الغربة، فسعوك لنشر حب الإسلام أو الشعر العربي... وإن كنت مؤمناً بصلاح قضيتك الفكرية وحتى خيرها الموضوعي، لا ينفي ذلك وجود غربة فكرية وجب التعامل معها، فكيف السبيل إلى ذلك؟

إن أصلح درب قد يسلكه المصلدون من أصحاب الغربة الفكرية هو الدعوة، ومراقبة حكيمة لأحوال المجتمع من أجل توظيف الخطاب بطريقة فعالة، وتكاتف أصحاب الغربة الفكرية الواحدة نحو هذا الهدف، لأن التشتت يضعف من أثر القضية في مجالات الإقناع والتبني الفكري اليوم، وذلك ما يخص الجماعات إن اجتمعت على قضية، أما من ناحية التخصيص، فيجب على كل فرد يرغب بالإصلاح والدعوة إلى غربته الفكرية أن يمثل تلك الغربة على قدر الاستطاعة ووجوب استمرارية المحاولة والسعى نحو التمثيل الأفضل، وذلك من أشرطة الإقناع السليم في كل الأزمان. فها هو النبي محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

يقرر باختياراته من سيصبح مفترياً فكريًا، ويتحقق ذلك من خلال احترام هذه الغربة الفكرية والتودّد إليها، لا يهم الموافقة أولاً على صحة أو خطأ ما يؤمن به أو يقوله كبار السن، بل المهم هو احترام هذه الغربة الفكرية التي نتجت عن زمن مختلف وتجارب مختلفة، وإن لم يقولوا شيئاً، وهذه الخطوة الأولى للتعامل السليم مع الغربة الفكرية.

لكننا نجد أيضًا من لديه تلك الغربة الفكرية رغم انتماصه إلى جيل الشباب، وهنا يقسم هؤلاء، أو نقسم، إلى عدة مجموعاتٍ بحسب اختلاف القضية التي أثارت تلك الغربة الفكرية، ويمكننا أيضًا تصنيف هذه المجموعات ضمن خاتمتين رئيسيتين، أصحاب الغربة النافعة وأصحاب الغربة الفكرية المؤذية. الفرق بين هاتين الخاتمتين أن أصحاب الغربة النافعة يعلمون أنهم غرباء، ويعون ذلك، فيغوصون للتخفيف عن غربتهم في غربتهم الفكرية، كانغماسي الحال مثلًا في الشعر العربي القديم، أو يدعون الناس إلى غربتهم بطريقة متقدمة تلائم أحوال الناس والمجتمع وتراعي عمق غربتهم، كتابتي لهذا المقال مثلًا.



عليه وسلم) وأصحابه في بداية الرسالة، وهم مصابون بغرابة فكرية، يسعون لنشر الإسلام من خلال التمثيل السليم لرسالته، فهو الصادق الأمين، وهم المتكافعون معه في صد الرذيلة من خلال تمسكهم بالفضيلة وإظهار محاسنها دون أي إجبار، وذلك قبل نزول الأحكام في المدينة، وهما هو أحمد ديدات يحس بضعفه وجهله وغربيته الفكرية أمام المسيحيين والهندوس، فيقرأ كتابه ويحفظه، ثم يواجههم بالدعوة والحجّة الدامغة فتتبّعه غربته الفكرية ويصبح أسد الدّعوة الذي نعرفه اليوم.



إِنَّهَا نَهَايَةُ بَذُورِ الْحَيَاةِ
وَلَعِلَّهَا الْبَرَايَةُ
فَمَنْهُ يَجِدُ الصَّادِرَ؟

